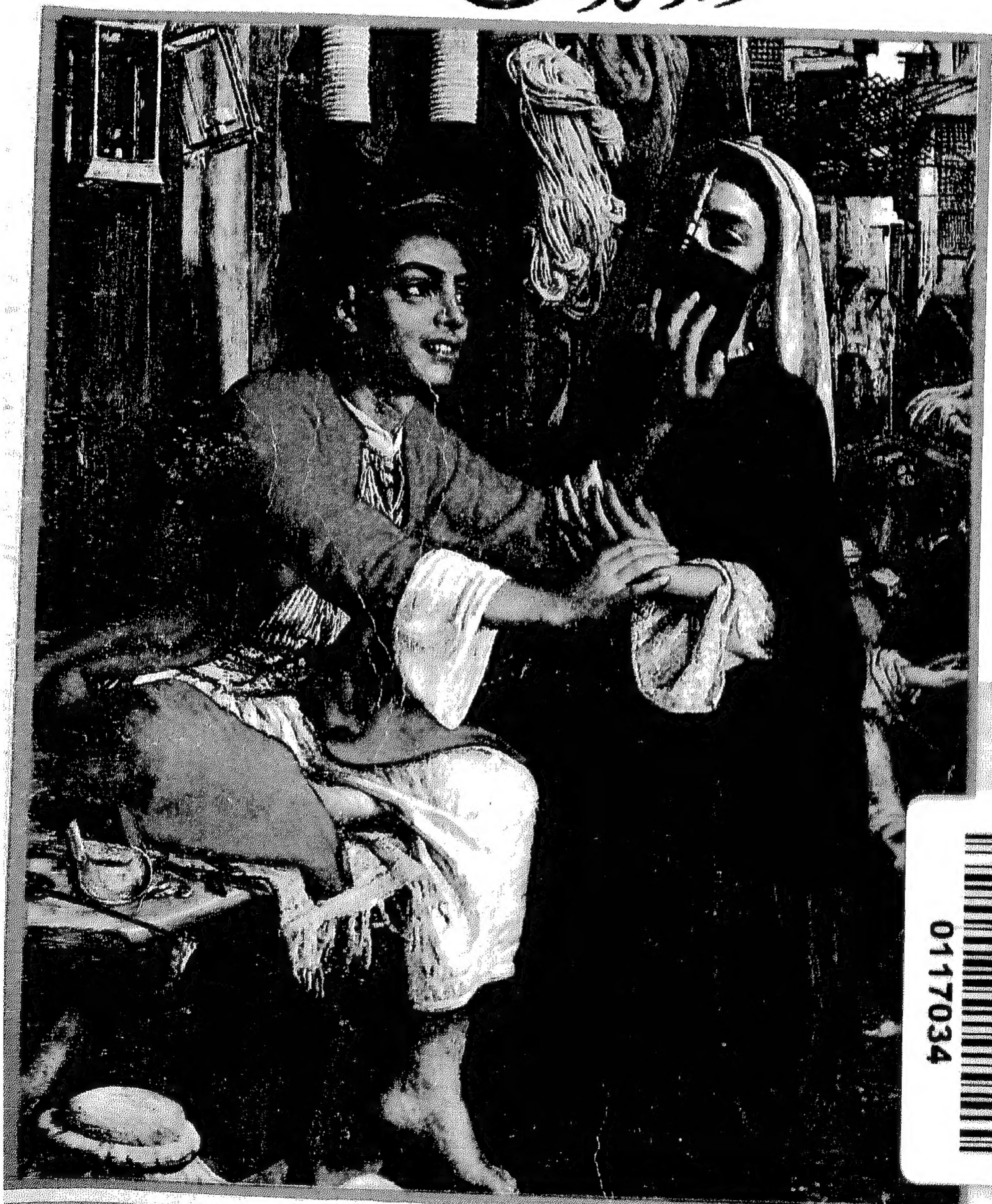


الحب عند العرب

لِلْعَلَّامة المحقق المَغفُور لَهُ

أحمد تيمور بك



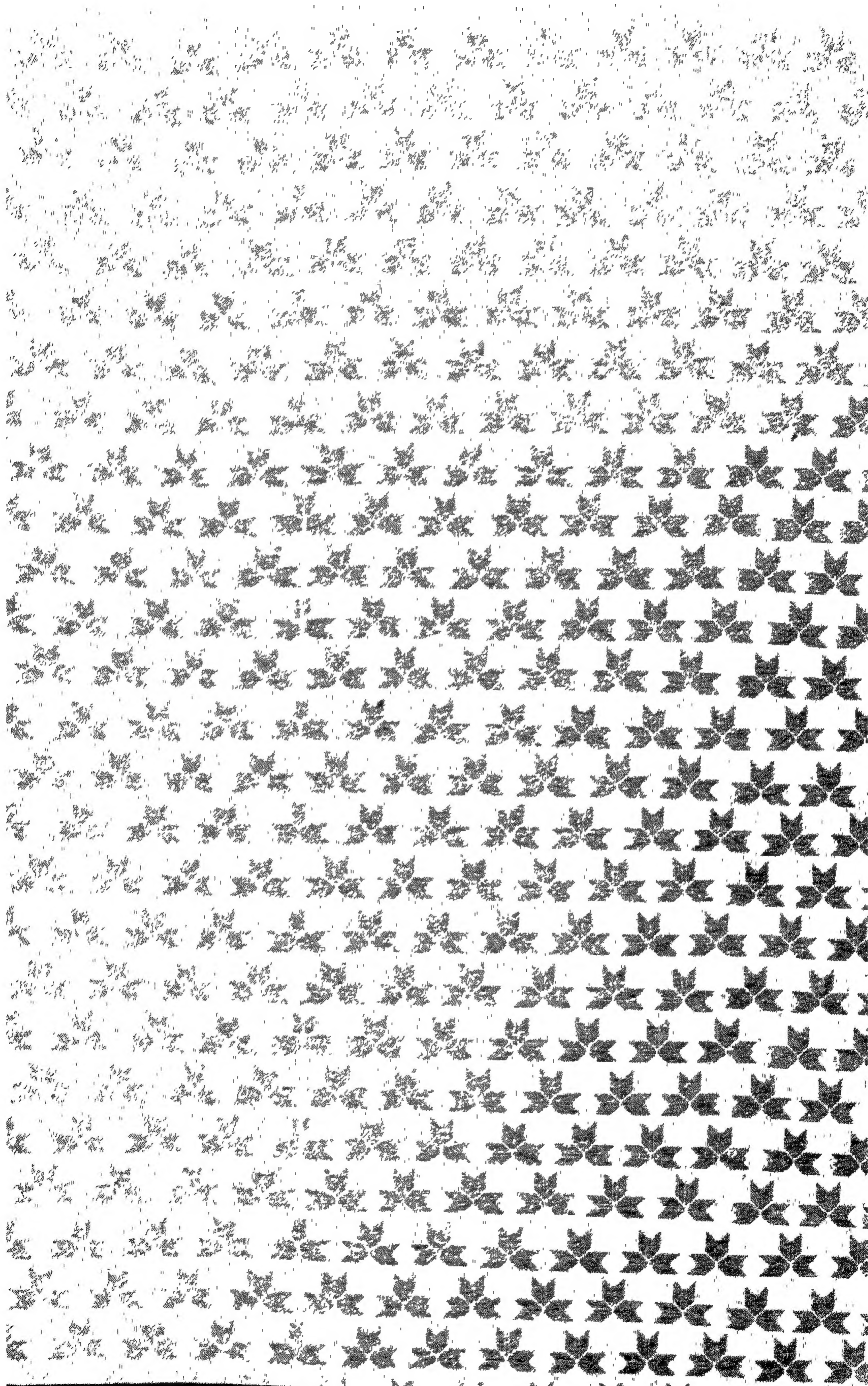
0117034



Bibliotheca Alexandrina

دار المعارف للطباعة والنشر.

الكو



الحُبُّ عِنْدَ الْعَرَبِ

لِلْعَلَّامَةِ الْمُحَقِّقِ الْمُغْفُورِ لِه
أَحْمَدَ تَيْمُورِيَّاتٍ

صفات الحب وأغراضه وأنواعه ومختارات وطرائف مما قيل في العشق
والجمال والغزل ووصف النساء ومقاطع رائعة ونوادر فائقة للشعراء
العشاق من كل لفظ شائق بديع ومعان كأنها زهر الربيع



دار المعارف للطباعة والنشر
سوسة - تونس

العدد المسند من طرف الناشر 93/247
تدمك : 6 - 205 - 16 - ISBN 9973

تمهيد لمقدمة الكتاب (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي حكم بعباده فقهر ، ودبر بلفظه فيسر ، وألف بين مَنْ شاء مِنْ أحبائه وجعلهم أحبباً ، وجعل لمجالس الأنس من الفضلاء والندماء ألباباً ، فهم يتذكرون الفوائد والأخبار ، ويستنمون في تلك الأوقات منادمة الأصحاب وتفاشد الأشعار . أحمد على كلّ نعمة ، وأشكره إذ جعلنا من خير هذه الأمة ، وأستغفره من كلّ ذنب يوجب النعمة ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تجيرني من الخطايا والزلل ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبرأ من النقص والخلل ، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه التابعين وتابع التابعين . وبعد : فهذا مجموع يشتمل على فصول تحوى مقاطيع رائعة ، وقصائد فائقة ، من كلّ لفظ بديع ومعان كأنها زهر الربيع ..

(١) عثرت اللجنة بين مخططات المؤلف على الجزء الأول من مقدمة لهذا الكتاب ، ولم نجد أثراً لبهاية أجزاء المقدمة . ولعله رحمه الله ترك استكمالها حتى يتم جميع مواد الكتاب . ولما لم يعمل الأجل تحقيق ما توخاه ، آثرنا إثبات هذا الجزء من المقدمة كما وجدناه ..

دعاء مأثور

من أفضل ما سئل الله - عز وجل - حبه وحب من يحبه وحب عمل يقرب إلى حبه .
ومن أجمع ذلك أن يقول المرء في دعائه :

اللهم إني أسألك حبك ، وحب من يحبك ، وحب عمل يقربني إلى حبك .
اللهم ما رزقتني مما أحب ، فاجعله قوة لي فيما تحب . وما زويت عني مما أحب ،
فاجعله فراغاً لي فيما تحب .

اللهم اجعل حبك أحب إلي من أهلي ومالي ، ومن الماء البارد على الظمأ .
اللهم حبيبي إليك وإلى ملائكتك وأنبيائك ورسلك وعبادك الصالحين .
اللهم أخى - قلبي بحبك ، واجعلني لك كما تحب .
اللهم اجعلني أحببك بقلبي كله ، وأرضيك بجهدي كله .
اللهم اجعل حبي كله لك ، وسمي كله في مرضاتك .

هذا الكتاب

بقلم الأستاذ عبد السلام شهاب

لم يكن عجباً ، أن يعنى بأمر الحبّ والجمال ، طالم أديب ، حبّة في اللغة والتاريخ وغيرها من العلوم والفنون ، واشتهر إلى ذلك بالترام الوقر والمحافظة على التقاليد الدينية والاجتماعية ، هو المنفور له العلامة « أحمد تيمور باشا » صاحب هذا الكتاب .

فن قبل ذلك بمئات السنين ، عنى بأمر الحبّ والمحبين ، كثير من أكابر العلماء والأدباء ، وذوى المكانة الرفيعة والكلمة الموقرة المطاعة ، في شئون الدين وشئون الدنيا على السواء .

وسيطالع قراء الكتاب ، فيما تضمنه من آراء وأحاديث ونوادر وأشعار وغيرها ، أسماء عشرات من هؤلاء وهؤلاء ، وفي مقدمتهم : أنبياء وخلفاء وسلاطين ، وفلاسفة وفقهاء ومتصوفون ، بل سيجدون كذلك أن موضوع الحبّ والمحبين قد اختصّ بكتاب كامل من أهمّ كتب التراث العلمى والأدبى العربى ، هو كتاب « طوق الحمامة في الألفة والألاف » الذى قام بتأليفه منذ أكثر من تسعمائة سنة أحد أئمة المسلمين الشهود لهم بالورع والتقوى والافتداء ، هو الوزير الفقيه الفيلسوف أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى ، وقد فصل فيه عناصر الحبّ وصفاته وآفاته ، وساق أمثلة من تجاربه الخاصة فيه ، وملاحظاته على المحبين من أهل عصره ومخالطيه ، وأكد بالأدلة القاطعة المقبولة ، أن « الحبّ ليس بمُنكر في الديانة ، ولا بمحظور في الشريعة » .

وتعرضت كتب أخرى كثيرة ، لهذا الموضوع الشائق ، منها كتاب « روضة المحبين
ونزهة المشتاقين » ، للعلامة الشيخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ،
المتوفى سنة ٧٥١ هـ .

والستقري لتواريخ الأمم والشعوب ، قديمها وحديثها ، وكبيرها وصغيرها ، لا بد
واجدها كلها - دون استثناء - تشترك في معرفة الحب ومعاناته ، وفي تقدير أهميته في
حياة الفرد والمجتمع . ثم هو إلى جانب ذلك لن يفوته أن يلاحظ أن « الحب والجمال عند العرب »
لهما مقام أسنى ومنزلة أعظم . فإذا هو التمس أسباب هذا ودواعيه ، فما أيسر أن يتبينها فيما
توافر للعرب في بيئتهم الخاصة ، من فطرة سليمة وإحساس مرهف ، ومن تذوق دقيق
واع لا يحيط بهم من روائع الجمال وبدائمه ، متمثلة في مناظر صحرائهم ، بما اشتملت عليه
أرضها من رمال وتلال وجبال مختلفة الألوان ، وبما اشتملت عليه سماؤها من غيوم ونجوم ،
تسحر العيون والألباب .

فإذا أضيف إلى ذلك ما امتاز العرب به من كثرة الترحال والانتقال انتجاعاً للرّزق ،
ومن فصاحة اللسان والجنان ، والقدرة على التعبير عن عواطفهم ومشاعرهم بصديق
وإخلاص ، فهذان يرهانان آخران على أنهم خلّقوا ليكونوا أحقّ بالحب وأهله ، وأقدر
على حمل تبعاته وأصدق تصويراً له وتعبيراً عنه .

وقد تنبّئ بجمال الحب وحبّ الجمال فطاحل الشعراء العرب ، منذ عصر الجاهلية .
ولم تخل من الحديث عن ذلك أو الاستهلال به أكثر القصائد الكبرى التي قدّمها
العرب الجاهليون وعلّقوها على الكعبة تشریفاً لأصحابها ، وتقديراً لبلاغتها فيما أكّد كثير
من الرواة .

وفي أشهر هذه « المملقات » يقول امرؤ القيس بن حجر الكندي :

أفأطيمُ : مهلاً ، بعضَ هذا التَّدَلُّرِ وإن كنت قد أزمعت صرعى فأجملِي
أغرّك مِنّي أن حبّك قاتلي وأنتك مَهْمَا تأمرى القلبَ يفعل ؟

ويفتتح الحارث بن حلزة اليشكري معلقته بقوله في حبيبته « أسماء » :

أَمَّنَّا بَيْنَنَا أَسْمَاءَ رَبِّ ثَاوٍ يَمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ

أما طرفة بن العبد ، فقد أكل معلقته مائة بيت ابتداها بالشوق إلى « خولة » محبوبته ، فذكر أطلال ديارها ، ومراكبها التي حملتها بعيداً منه ، ومراكبه التي يمضي عليها هائماً مشتاقاً إلى اللقاء ، ومطلع معلقته :

لِخَوْلَةٍ أَطْلَالَ بِرَقَّةَ تَهْمِدُ ثُلُوحُ كَبَاقيِ الْوَسْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ

ويقول عنبرة بن شداد العبسي في معلقته ، موجهاً الخطاب إلى عبلة ابنة عمه :

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالرَّمَاخُ نَوَاهِلُ مَنِيَّ وَبَيْضُ الْهِنْدِ تَقَطَّرُ مِنْ دَمِي
فَوَدِدْتُ تَقْيِيلَ السُّيُوفِ لِأَنَّهَا لَمَعَتْ كَبَارِقِ نَفَرِكِ الْمُتَبَسِّمِ

ويفتتح النابغة الذبياني معلقته ، بذكر « مية » حبيبته وديارها التي أقفرت من أهلها فيقول :

يَا دَارَ مِيَّةَ بِالْعَلْيَاءِ فَالْسِّنْدِ أَقْوَتْ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَمَدِ
أَضَحَّتْ خَلَاءً وَأَضْحَى أَهْلُهَا اخْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لَبَدِ

ويقول ذو الأصبع العدواني ، يشكو فراق محبوبته « رياء » :

يَا مَنْ لِقَلْبٍ طَوِيلٍ الْبُثُّ حَزُونِ أَمْسَى تَدَكَّرَ رِيًّا .. أُمُّ هَارُونَ
فَقَدْ غَنِينَا وَشَمَلُ الدَّارِ يَجْمَعُنَا أَطِيعُ رِيًّا ، وَرِيًّا لَا تَعَاصِينِي
تَرْمِي الْوُشَاةَ فَلَا تَخْطِي مَقَاتِلَهُمْ بِصَادِقٍ مِنْ صَفَاءِ الْوُدِّ مَكْنُونِ

ويقول السموءل بن عاديا من قصيدة له يشكو فيها مرارة العذل ، ويؤكد أنه لن يلهي عن حبِّ صاحبتة مهما يطلَّ عذله ولومه :

أَعَاذَلْتِي : أَلَا - لَا تَعْدِلِينِي فَكَمْ مِنْ أَمْرِ عَاذِلَةٍ عَصِيَتْ
دَعِينِي وَارْشُدِي إِنْ كُنْتُ أَعْوَى وَلَا تَنْوِي - زَعَمْتِ - كَمَا غَوَيْتِ

عَاذِلُ : قد أطلت اللّومَ حتّى لو أنّي مُنتَهٍ . . . لقد انتهيتُ
وحتّى لو يَكُونُ فتي أناسٍ بكى من عَذْلٍ عَاذِلِهِ ، بكّيتُ
وأى تعبير عن الحبّ ، أرقُّ وأعذبُ وأتقذ إلى القلوب قبل الأسماع ، مما عبّر عنه
الشاعر الجاهلي النخل اليشكري في بساطة محبّة ، فقال :

وأحبّها ، وتحبّني ويحبُّ ناقثها بعيرى !

وإذا كان هذا هو شأن « الحبّ عند العرب » في جاهليّتهم فلا شكّ في أن حظهم منه
قد أصبح أوفر ، بعد أن جاء الإسلام فألّف بين قلوبهم ، ورقّق من طباعهم وسما بهم درجات
في تنظيم العلاقات بين الجلسين . وقرّر للمرأة حقوقاً لم تكن لها قبله ، وحرّم البناء .
وأوجب معايرة النساء بالمعروف ، أو مفارقتهنّ بالمعروف .

وقد استوصى النبي عليه الصلاة والسلام بالنساء خيراً ، وقرّر أن « خير متاع الدّنيا
المرأة الصالحة » . وقال : « حُبِّبَ إلَيَّ من دنياكم ثلاث : النساء والطيبُ وقُرَّةُ عيني
في الصّلاة » .

وجاء الخلفاء الراشدون ، فتهجّوا نهجه ، واتّبِعُوا سنّته . وأصبح معنى الحبّ مرادفاً
لمعنى العفة والرّغبة في استكمال الدين عند المسلمين .

وقد روى أن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضی الله عنه ، أصاب في زمانه ناساً من
هُذَيْلٍ ، فخرجت جارية منهم ، فاتبعها رجلٌ يريدُها عن نفسها ، فرمته بحجر ففصّنت
كبده . فقال عمر : هذا قتيل الله ، والله لا يودي أبداً .

كذلك أفتى عبد الله بن عباس رضی الله عنهما - بأنّ قتيل الهوى لا دية فيه
ولا قصاص .

وفي أخبار الوالي العربي زياد بن أبي سفيان ، أنه قال لجلسائه يوماً : من أنعمُ الناس
عيشة ؟ قالوا : أمير المؤمنين . فقال وأين ما يلقى من قريش ؟ قالوا : إذن أنت . فقال :
وأين ما ألقى من الخوارج والثنور ؟ قالوا : فمن أنعمُ الناس عيشة أيها الأمير ؟ فقال :

رجل مسلم ، له زوجة مسلمة ، لها كفاف من العيش . وقد رضيت به ورضى بها ، لا يعرفنا ولا نعرفه .

وقد حرص أكثر الشعراء العرب بعد الإسلام على التزام ما كان عليه أسلافهم قبله ، من استهلال قصائدهم بالنزل والتشبيب بالنساء .

وروى أن النبي - صلوات الله وسلامه عليه - أعرب عن استحسانه هذا التقليد الأدبي ، حينما أنشده الشاعر كعب بن زهير قصيدته التي مدحه فيها واستهلها بقوله :

بِأَنْتَ سَعَادُ قَلْبِي الْيَوْمَ مَتَّبُولُ مُتَيِّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يَفْدَ مَكْبُولُ
وَمَا سَعَادُ غَدَاةِ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا إِلَّا أَغْنَى غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ

وكان الخليفة العباسي هرون الرشيد يقسم أعوام حكمه : عاماً لحج البيت الحرام ، و عاماً للجهاد في سبيل الله . ومع هذا كان يستحسن أشعار النزل ووصف لواجع الحب ، ويجيز عليها ويرويها . بل كان هو نفسه فيما يقول الرواة يسابق الشعراء في هذا المضمار فيقول :

مَلَكَ الثَّلَاثَ الْآنَسَاتُ عِنَانِي وَحَلَلَنِي مِنْ قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانٍ
مَالِي تَطَاوَعَنِي الْبَرِيَّةُ كُلُّهَا وَأُطِيعُنَّ وَهْنِي فِي عِصْيَانِي ؟
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ سُلْطَانَ الْهَوَى وَهُوَ الضَّعِيفُ أَعَزُّ مِنْ سُلْطَانِي !

وقد حفل تاريخ الأدب العربي بروائع خالدة من قصص الحب وأبطاله وبطلاته ، وكثير منهم ينطبق عليهم القول المأثور : « من أحب فف فأت ، مات شهيداً » وما زالت قصصهم تضرب مثلاً على الإخلاص والوفاء .

من هؤلاء : مثلاً : جميل بن معمر صاحب بثينة الذي يقول فيها :

وَإِنِّي لِأَرْضَى مِنْ بُثَيْنَةَ بِالَّذِي لَوْ أَبْصَرُهُ الْوَاقِي لَقَرَّتْ بِلَابِلُهُ
بـ « لا » ، وبألا أستطيع ، وبألني وبالأمل المرجو قد خاب أمله
وبالنظرة العجلى ، وبالحول تنقضى أواخره لا نلتقي وأوائله

وكان يرضى منها بالقليل كما أشار في البيتين ، وكما قال في بيت آخر :
أَقْلَبُ طَرَفِي ، فِي السَّمَاءِ لَمَلَهُ يُوَافِقُ طَرَفِي طَرَفَهَا حِينَ يَنْظُرُ
ومنهم جميل وبثينة ، من قبيلة عذرة المشهورة بالمشق والجمال ، وقد تمحبا صغيرين ،
فلما كبر خطبها ، فرفض أهلها أن يزوجوها ، ومنعوه رؤيتها ، وهددوه بالقتل فلم يعبأ
بتهديدهم ، ولامه أبوه على استهتاره ومخاطرته بنفسه ، فردّ عليه قائلاً :

« يَا بَتِ : هَلْ رَأَيْتَ أَحَدًا قَدَرَ أَنْ يَدْفَعَ عَنْ قَلْبِهِ هَوَاهُ ، أَوْ مَلَكَ أَنْ يَسْلِيَ نَفْسَهُ .
وَاللَّهِ لَوْ قَدَرْتُ أَنْ أَعُوذَ ذِكْرَهَا مِنْ قَلْبِي ، أَوْ أَزِيلَ شَخْصَهَا مِنْ عَيْنِي ، لَفَعَلْتُ . وَلَكِنْ
لَأَسْبِيلَ إِلَى ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا هُوَ بَلَاءٌ قَدْ بَلَيْتَ بِهِ لِحِينَ قَدْ أُتِيحَ لِي عَلَى أَنِّي أَمْتَنَعُ عَنْ طُرُقِ
هَذَا الْحَيِّ وَالْإِلْمَامِ بِهِ وَلَوْ مِتُّ كَعَدًّا . وَهَذَا جَهْدِي وَمَبْلَغُ مَا أَقْدَرُ عَلَيْهِ . وَمَا زَالَ عَلَى حَبِّهِ
لَهَا حَتَّى قَضَى أَمْرِي وَلَوْعَةً لِفِرَاقِهَا .

ومنهم قيسُ لُبَنَى . وكان قد تزوجها . وسعدا بتبادل الحب حيناً ، ثم طلقها نزولاً
على إرادة أبيه . ولم ينغمه الندم بعد ذلك فهام على وجهه يشد السلوان . لكنه لم يستطع
صبراً على فراقها ، وظلّ يذكرها حتى مات .

ومنهم توبة بن الحمير وصاحبه ليلي الأخيلية ، وفيها يقول :
لَوْ أَنَّ لِي لَيْلِي الْأَخِيلِيَّةَ سَلَّمْتُ عَلَى وَدُونِي تُرْبَةً وَصَفَاحُ
لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْ . . زَقَا إِلَيْهَا صَدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَاخُ

ومنهم كثير وصاحبه عزة ، وعمر بن أبي ربيعة وصاحبه الثريا ، وقيس بن الملوّح
مجنون ليلي ، وقيس بن ذريح وصاحبه لُبَنَى ، وعروة بن حزام وعفراء ، وكثير غيرهم
من العشاق العرب في مختلف المصور والبلدان .

ولقد كان صاحب هذا الكتاب ، يمدُّ في طليعة المشهود لهم بالتعمق في دراسة تاريخ العرب وعلومهم وآدابهم وفنونهم، وسبق أن أخرجت له لجنة نشر المؤلفات التيمورية طائفة من الكتب القيمة في جهرة من هذه الفنون والآداب والعلوم ، آخرها « الموسيقى والنساء عند العرب » أما هذا الكتاب « الحب والجمال عند العرب » فقد عثرت اللجنة على أكثر أصوله بخط المؤلف بين ما خلف من مخطوطات لم يقدر لها أن تطبع في حياته . وقد جمع رحمه الله هذه الأصول من مئات الكتب والمخطوطات التي اشتملت عليها مكتبته . وترك جزازات أشار فيها إلى موضوعات مماثلة في كتب ومخطوطات أخرى كان يعتزم إضافتها إلى الأصول ، فتولت اللجنة هذه المهمة لتكمل الكتاب على النحو الذي أراده .

والكتاب يشتمل على عشرة أبواب : أولها في « صفات الحب وأغراضه » . وفيه فصول متفرقة أهمها عن ماهية الحب ومعنى الحب والمحبوب وعشق الشرف وعشق الجمال وأحلام المحبين والحبيب الأول والحبيب الآخر والحب مع اختلاف الدين
والباب الثاني عن « أنواع الحب » وتندرج تحته فصول عن حب الولد وحب الأيامي واليتامي ، وأمثال في الحب ، وحجة بالنه .

والباب الثالث عن « حب الأزواج » وفيه فصول عن زواج النبي من خديجة وحبها له وتقديره لها وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة ، على اختلاف ألوانه .

والرابع عن « الشعراء العشاق » وما قيل منهم في معشوقاتهم .

والخامس عن « الحب والجمال » وفيه فصول حب امتداح النساء ووصف جملهن على اختلاف في ألوان الوصف والتشبيه وأسماء النساء .

والسادس عن « النزل ووصف النساء » .

والسابع عن « العيون وما قيل فيها » ثراً ونظماً مع رسالة في معاني لفظ « العين » وآفة النظر وغائلته .

والثامن عن « تعدد الزوجات والأزواج » وفيه فصول عن حكمة التعدد في الإسلام إلى كشف وجه المرأة في الإحرام .

والتاسع عن « عداوة النساء » وأن طاعتهم تردى العقلاء وتذلّ الأعزاء .
أمّا الباب العاشر فحوى « طرائف عن الحب » وفيه فصول عن المرأة بين الحب والمال
ومن الحب إلى الزهد وغيرها من ضروب أخرى إلى محبة الأعداء .
وإنّا لعلّى يقين من أن هذه الأبواب والفصول كلّها — وقد اجتمعت مفصلة وموضحة
في هذا الكتاب الجديد — جديرة بأن تجمله — كما أراد مؤلفه العلامة المحقق المنفور له
أحمد تيمور باشا رحمه الله — ذا نفع كبير للأدباء والمتأدّين ولقراء المريسة أجمين ،
والله وليّ التوفيق .

عبد السلام شهاب

صفات الحب وأغراضه

الحب ما هو ؟

قال أبو بكر الوراق : سأل المأمون عبد الله بن طاهر ذا الرياستين عن الحب ما هو ؟ فقال : يا أمير المؤمنين : إذا تقادحت جواهر النفوس المتقاطعة بوصل المشاكلة ، انبعثت منهما لمحة نور تستضيء بها بواطن الأعضاء ، فتتحرك لإشراقها طبائع الحياة . فيصور من ذلك خلقٌ حاصرٌ للنفس متصل بخواطرها يسمى الحب .

وسئل حماد الراوية - عن الحب ما هو ؟ فقال : الحب شجرة أصلها الفكر . وعروقها الذِّكر ، وأغصانها السَّهر ، وأوراقها الأسقام ، وثمرتها المنية .

وقال مُعَاذُ بْنُ سَهْلٍ : الحبُّ أصعبُ ما رُكِبَ ، وأسَّكَرُ ما شُرِبَ . وأقطعُ ما لُقِيَ ، وأخلى ما اشْتُهِى ، وأوجعُ ما بَطِنَ ، وأشهى ما عَلَنَ . وهو كما قال الشاعر :

والحبُّ آفاتٌ إذا هيَ صرَّحتْ تَبَدَّتْ علاماتُ لها غُرُورٌ مُفَرُّ
فباطنُهُ سَقَمٌ وظاهرُهُ جَوَى وأوَّلُهُ ذِكْرٌ وآخرُهُ فِكْرٌ

وقال بشار العبلي :

هل تعلمين وراء الحبِّ منزلةً تُدْنِي إِلَيْكَ فَإِنَّ الحبَّ أَقْصَانِي

وقال غيره :

أحبُّكَ حُبًّا لو تُحِبِّينَ مثلهُ أصابَكَ مِنْ وَجْدٍ عَلَى جُنُونُ
لطيفاً من الأحشاء ، أمّا نهارُهُ فدَمَعٌ ، وأمّا كَيْلُهُ فَاَيْنُ

وقال الفقيه الفيلسوف أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، في كتاب طوق الحمامة في الألفة والآلاف : الحبُّ أوَّلُهُ هزلٌ وآخرُهُ جدٌّ . دَقَّتْ معانيه - لجلالها - عن أن توصف

فلا تدرك حقيقتها إلا بالعمارة . وليس بمنكر في البينة ، ولا بمحذور في الشريعة .
إذ القلوب بيد الله عز وجل .

وقد أحب من الخلفاء المهديين والأئمة الراشدين كثير .

وأفتى ابن عباس بأن قتيل الحب لا دية له . والحب اتصال بين أجزاء النفوس .

وقال الله عز وجل :

« هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ... » .
والحب علامات منها : إيمان النظر إلى المحبوب والإقبال بالحديث إليه ، والإنصات
إلى حديثه ، وتصديقه وإن كذب ، وموافقته وإن ظلم ، والشهادة له وإن جار .

ومن أفضل ما يأتيه الإنسان في حبه : التعفف ، وترك ركوب المعصية والفاحشة .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : إمام عادل ، وشاب نشأ في طاعة الله عز وجل ، ورجل قابه معلق بالمسجد إذا خرج منه لا يلث حتى يعود إليه ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ، ورجل تصدق فأخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » .

الحب والمحبوب (١)

قولهم : أحببت حبا : الحب ليس بمصدر لأحبيت ، إنما هو عبارة عن الشغل بالمحبوب ،
ولذلك جاء على وزنه مضموم الأول ومن ثم جمع كما يجمع الشغل ، قال : ثلاثة أحباب : فحب
علاقة ، وحب خللان ، وحب هو القتل .

وكما كان الفعل أعم وأشيع ، لم يكن لذكر مصدره معنى . ولولا كشف الشاعر
لاختلاف أنواع الحب ما كدنا نعرف مافيه من العموم وأنه - في معنى الشغل كما تقدم .

وقد أنشدوا في الصحاح يتين هما :

أَحِبُّ أبا مروان من أجل تَمَرِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّ الحُبَّ بالراء أَرْفَقُ
ووالله لولا تَمَرُهُ ما حَبَبْتُهُ وَكُن عِيَاضٌ مِنْهُ أَذَنِي وَمُشْرِقُ

ولما جاءوا إلى اسم الفاعل - أتوا بالاسم الرباعي حتى كأنهم لم ينطقوا بالثلاثي فقالوا :
عَبَبْتُ ولم يقولوا : حَبَبْتُ أصلاً . وجاءوا إلى المفعول فأتوا به من الفعل الثلاثي - في الأكثر
فقالوا : محبوب ، ولم يقولوا : مُحَبَّبٌ - إلا نادراً كما قال :

ولقد نزلت فلا تظنني غيرةً مِنِّي بمنزلة الحَبَبِ المكرم

فهذا من : أَحَبَبْتُ - كما أن الحبوب من : حَبَبْتُ ، ثم استعملوا لفظ الحبيب في :
الحبوب ، أكثر من استعمالهم إياه في الحب ، مع أنه يطلق عليهما .
فمن بجيئه بمعنى المفعول قول ابن الدُمَيْنَةِ :

وإن الكَثِيبَ الفردَ من جانبِ الحمى إلى وإِن لم آتِهِ لَحَبِيبُ

أى : لمحبوب . ومن بجيئه للفاعل - قول الجنون :

أتهجرُ كَلِيَّ بالفراق حَبِيبَهَا وما كلُّ نفس بالفراق تطيبُ

فهذا بمعنى : محبها . وربما قلوا للحبيب : حَبَبْتُ : مثل خدن ، نَحْنُ وَخَدَيْنُ مثل :
حَبَبْتُ وَحَبِيب . وإذا ثبت هذا فقوله : الحبُّ ليس بمصدر لأحبيت ، إنما هو عبارة عن الشغل
بالمحبوب ، وأجروه على الفعل الرباعي استثناءً عن مصدره ، وهذا لكثرة ولوع أنفسهم
بالحب والسنتهم به ، فاستعملوا منه أحبَّ المصدرين استثناءً به عن أقبلهما .

فلما كان الحبُّ ملازماً لذكر محبوبه ، ثابت القلب على حبه ، مقبلاً عليه لا يروم عنه
انتقالاً ولا يبنى عنه زوالاً ، اتخذناه في سويداء قلبه وطناً ، وجعله له سكناً ، حيث
قال :

تزل الجبال الراسياتُ وقلبهُ على المهدي لا يلوى ولا يتغيرُ

وفي شرح لامية المعجم . . للصفدي :
فالْحَبُّ حَيْثُ الْعِدَا وَالْأَسَدُ رَابِضَةٌ حَوْلَ الْكِتَاسِ لَهَا غَابٌ مِّنَ الْأَسَلِ
الحب - بالضم : المحبة ، وبالكسر : الحبيب نفسه . قال ابن الأنباري :
« الحب هو الحبيب . يقال للمذكر والمؤنث بلفظ واحد » . ويحكى عن بعض العرب
أنهم يقولون : فلانة حَبَّتِي .

عشق الشرف وعشق الجمال

قال عروة بن الزبير رحمه الله : « ما عشقت من امرأة قط إلا حسن ثمرها ، فإني
لأعشق الشرف كما أعشقُ الجمال » .
وإنما أراد الحسب ، وصراحة النسب ، كما قال عبد الرحمن بن الحارث بن هشام :
« ما عشقت من امرأة قط إلا حسبها » .
وقال كثيرُ الشاعر :

وأنت التي حبَّبتِ كلَّ قصيدة إليّ وما تدرى بذاك القصائرُ
ولم يرد : القصيدة القدة ، وإنما أراد المقصورة في الجمال ، من قولك : قصره ، إذا حبسه .
والمقصورة هي : المحجوبة . ومنه قول الله تعالى : « حورٌ مقصوراتٌ في الخيام » أي :
محبوسات . وقوله تعالى : « فيهنَّ قاصراتُ الطرفِ » أي : قصرن نظرهنَّ على أزواجهنَّ
فلا يبيننَّ بهنَّ بدلاً .

ويدلّ على مراد كثير في بيته ، قوله في البيت الذي بعده :
عنيتُ قصيراتِ الجبالِ ولم أردُ قصائرَ الخطى ، ثم النساءُ البحاترُ
والبحاترُ : القصار .

أحلام المحبين

كان أبو القاسم عليّ الشريف المرتضى شاعراً عفاً اللسان، يهوى الحُسن أينما وجدّه، وينحرف فيه منحى طاهراً بريئاً. واشتهر بحبّ الجمال العذريّ... وقد عشق الأدب الرفيع، كما عمّر فوق الثمانين عاماً، حيث ولد سنة ٣٥٥ وتوفى سنة ٤٣٦ هـ - ومن شعره :

ضنّ عني بالنزّار إذ أنا يقظاً نّ وأعطى كثيره في المنامِ
والتقينا كما اشتهينا ولا عي بَ سوي أن ذاك في الأحلامِ
وإذا كانت الملاقاة ليلاً فالليالي خير من الأيامِ
وقال الشريف الرضي (أخوه) وكان شاعراً مثله يتفق معه في هواه وحبّه وعشقه
للحُسن والجمال :

بتنا ضجيجين في ثوبَي هوى وهوى يلفنا الشوق من فرقٍ إلى قدمِ
وبات بارق ذاك الثغر يوضح لي مواقع اللثم في داجٍ من الظلمِ

الحبيب الأول والحبيب الآخر

قال حبيب الطائي .

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحبُّ إلا للحبيب الأول
كم منزلٍ في الأرض يألوه الفتى وحينئذٍ أبداً لأوّل منزل
وقد ردّ عليه شعراء آخرون . فمن ذلك قول بعضهم :

افخر بآخر من كلفت بحبّه لا خير في حبّ الحبيب الأول
أنشك في أن النبيّ . محمداً ساد البريه وهو آخر مرسلٍ !

ومنه قول ديك الجن الحمصي :

كذب الذين تحدّثوا أن الهوى لا شكّ فيه للحبيب الأول
ما لم أحنّ إلى خراب مقدر درست مآلهم كأن لم يؤهل

فقال حبيب « حين بلنه قول ديك الجن » :

كذب الذين تخرّصوا في قولهم ما الحب إلا للحبيب الأول
أو طيب في الطعم ما قد ذقت من ما كل أو طعم ما لم يؤكل

قال العلوّ الأصهباني (١) :

دع حبّ أول من كلت بحبه ما الحب إلا للحبيب الآخر
ما قد تولّى لا ارتجاع لطيبه هل غائب اللذات مثل الحاضر ؟
إن الشيب وقد وفى بمقامه أوفى لدى من الشباب الغادر
دنياك : يومك دون أمسك فاعتبر ما السالف المفقود مثل الغابر

الحب مع اختلاف الدين

قال أبو الطحان الأسدي ، وكان نديماً للناس من النصارى :

كان لم يكن في القصر ، قصر مقاتل وزورة ظلّ ناعم وصديق
معى كل فضفاض الثياب كأنه إذا ما جرى فيه الدام فتيق
وإني وإن كانوا نصارى أحبهم ويرتاح قلبي نحوهم ويتوق

(١) في الصناعتين ص ٣٣٤ .

والشيخ رجب الحريري قصيدة يصف فيها حبه لفتى نصراني يقول فيها :
 أرق من رَوْحِ الصَّبَا وَأَطْيَبُ كَلَامُ جَنِّهَا بِاللَّحَاطِ يُشْرَبُ
 وَلَفْظُهُ السَّخَرُ الْحَلَالُ يَطْرَبُ سَكَرْتُ مِنْهُ وَهُوَ شَهِدٌ يَعَذُّبُ
 فَاعْجَبْ لَشَهِدٍ مُسَكِّرٍ مِنْ سِخْرِ
 قَابَلْتَهُ بِأَحْسَنِ الْكَلَامِ مَرُجَّبًا مُعْظَمًا مَقَامِي
 وَوَجْهَهُ الْوَضَاحُ فِي ابْتِسَامٍ وَخَصَنِي بِاللُّطْفِ وَالْإِكْرَامِ
 وَبِالْجَمِيلِ وَالْحَيَا وَالْبَشْرِ

الحبُّ في كلِّ حال

قال عنتره العبسيُّ به يصف حبه لعملة ابنة عمه ، على ظلمها إياه :
 أَحْبَبُّكَ يَا ظُلُومُ وَأَنْتَ مَنِي مَكَانَ الرُّوحِ مِنْ جَسَدِ الْجَبَانِ
 وَلَوْ أَنَّي أَقُولُ : مَكَانَ رَوْحِي لَخِفْتُ عَلَيْكَ بَادِرَةَ الطَّعَانِ

وقال بعضهم ، في الوداع :
 وَدَعْتُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَعْلَمُوا وَرَحْتُ وَالْقَلْبُ بِهِمْ مُنْزَمٌ
 سَأَلْتُهُمْ تَسْلِيمَةً مِنْهُمْ عَلَيَّ إِذْ رَاحُوا . . فَا سَلَّمُوا
 وَاسْتَخَسَّنُوا ظِلْمِي فَمِنْ أَجْلِهِمْ أَحَبُّ قَلْبِي كُلِّ مَنْ يَظْلِمُ
 وَقَالَ دَعْبَلُ الْخَزَاعِي :

وَقَفَ الْهَوَى بِحَيْثُ أَنْتَ فَلَيْسَ لِي مَتَاخَرٌ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمٌ
 أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكَ لَذِيذَةً حُبًّا لَذِكْرِكَ فَلْيَلْمَنِي الْيَوْمَ
 وَأَهْنَتَنِي ، فَأَهْنَتْ تَنَسَّى صَاحِرًا مَا مِنْ يَهْوٍ عَلَيْكَ يَمُنُّ بِكُرَمِ

حُبُّ النساءِ المال

قال الزُّبير بن بَكَار في أنساب قريش^(١) : كان « نُبَيْهٌ » وأخوه منبّه « من وجوه قريش ، وذوى النباهة فيهم ، ولكنهما قُتِلَا « بيدر » كافرين ، وكانا من المطمِعين يومَ بَدْرِ .

لقد كان « نُبَيْهٌ » بضمّ النون وفتح الموحدة بعدها « ياء » ساكنة « فهاء » وكنيته « أبو الزَّرام » بتشديد الزَّاي المعجمة ، ابن الحجاج بن عامر بن خُذَيْفَةَ بن سميد بن سهم بن عمرو ابن هُصَيْنٍ « بالتصغير » بن كعب بن لؤى بن غالب . وكان نُبَيْهٌ شاعراً مطبوعاً على الإجابة ، وقد قيل : إن زيد بن عمرو بن ثعلب كان يقول :

تلك عرساي تنطقان لهجره وقولان قول أئمه وعثره

فقال نُبَيْهٌ من القافية نفسها ، في زوجته وقد سألتاه الطلاق :

تلك عرساي تنطقان على عمه	يد أن اليوم قول زور وهثر
سألتاني الطلاق أن رأتا ما	لي قليلاً . . قد جثمتي بئكر
فلعل أن يكثر المال عندي	ويعرّى من المارم ظهري
وترى أعبد لنا وأواق	ومناصيف من خوام عشر
ونجّر الأذيال في ثمة ثم	تقولان : ضع عصاك لذهري
وي كان من يكن له نسب	يحبب ومن يفتقر يعيش عيش ضر
ويحبب سر النجى ولكن	أخا المال مخضر كل سر

ومن شعره :

قصر الشيء بي ولو كنت ذاماً	ل كثير لأجلب الناس حولي
ولقأه : أنت الكريم علينا	ولخطوا إلى هواي ومثلي
ولكنت المعروف كيلاً هنيئاً	يُمَجِّز الناس أن يكيلوا ككيلي

(١) في خزنة الأدب ج ٣ .

وله أيضاً :

قالت سُلَيْمَى يوم جئتُ أزورها لا أبتنى إلا امرأً ذامالٍ
لا أبتنى إلا امرأً ذا أنفُصٍ كما أسدٌ مفارقٌ وخِلالي
فلا حرصنَّ على اكتسابٍ مُجَبِّبٍ ولا كَسَنٍ في عَفَّةٍ وجمالٍ

في خلاصة الأثر ج 2

كُن الأديب حُسَيْن بن أحمد بن حُسَيْن المعروف «بأبن الجزري» الشاعر المشهور الحلبيُّ أحد المجيدين ، جمع شعره بين الصنعة والرقة . كان إذا تكلم لا يظنه الإنسان يعرف شيئاً ، وكان له خطٌّ نسخيٌّ غايةً في الحُسْن إلا أنه كان شديد الأخلاق أحياناً ، وكان مغرماً بشعر أبي العلاء المَعْرِي ، كثير الأخذ منه ، وأخيراً رآه في منامه وقرأ عليه اللزوميات . وسمعه يقرُّ في تلك الرؤيا : أنَّ الخير كلُّ الخير فيما أكرهتك النفس الطبيعيةً عليه ، والشرُّ كلُّ الشرِّ فيما أكرهتك النفس عليه .

ومن شعر ابن الجزري :

إن كنت متخذاً لجرحك مَرَّهاً فكتابُ ربِّ المالمين المرَّهمُ
أو كنت مصطحباً حبیباً سالِكاً سُبُلَ الهوى فلزومُ ما لا يلزمُ

ومن شعره في الغزل :

ما عشتُ من ألم الفراقِ لو لم أطلْ أملَ التلاقِ
فأظُلَّ كاللُسوعِ من أنفى النوى ، ورجاى راقِ
يا ثالثَ القمرين إلا فى الكسوفِ وفى المحاقِ
حَتَّامٌ دُمى فيكَ لا يرقا . . وروحى فى التراقِ
وإلامَ يَسْتَسْقَى الفؤا دُ ظلاً ، وأجفانى سواقِ

وغريق دمع العين لا تلقاه إلا في احتراق
 والحب ما أروى الضأو ع جوى ، وما أروى المساق
 فمساك أن تجزى محبة لك في المحبة بالوفاق
 ولقد لقيت هواك أء ظم ما لقيت ، وما الأقي
 وصبرت فيك على العدا صبر الأسير على الوثاق
 وعلمت أن العبر يا عذب اللعى مر المذاق
 فأعرض عن الإعراض إء راضى لديك عن النفاق
 وارفق ولو بالالتفا ت على ما بين الرفاق
 فلقد يكون تلفت الأ عناق داعية العناق
 واستبق منى باللقا بواقياً ليست بواق
 أعضاء صب ، ماله إلاك من عينيك واق
 فلبعض سود عيونها أمضى من البيض الرقاق
 وقدودهن رواشق في الطعن كالشمر الرشاقي
 وإذا بليت بحبن بليت بالدمع المراق
 ومن جيد شعره قوله :

تنفدك ساقياً قد كساك ال يحسن من فرقك المضى لساقك
 تشرق الشمس من يدك ، ومن في لك الثريا ، والبدر من أطواقك
 أوليس العجيب كونك بدرًا كاملاً ، والحق من عشاقك
 فتنة أنت إذ تميت وتحي بتلاقيك من تشا ، وفراقك
 لست من هذه الخليقة بل أذ ت ملك أرضيت من خلّاقك

الحب خضوع النفس

وكان حاتم بن أحمد بن موسى بن أبي القاسم بن محمد بن أبي بكر بن أحمد بن عمر الأهدل
اليمنى الحسينى مشهوداً له بتحصيل أنواع العلوم والمعارف ، والنظم والنثر ، وقد رحل
إلى كثير من البلدان ، وأقام بالحرمين ، ثم توطن النخا ، وحصل له بها شأن عظيم ينبطه
عليه صفوة أصحابه وأترابه ، إذ كان له يد طولى فى العلوم الشرعية والفنون العربية ، إلا
أنه غلب عليه التصوف ، كما كان متقناً لعلم الأسماء والحروف ودوائر الأولياء ، حتى إنه كان
زاهداً فى الدنيا ، ومن شعره قوله مشطراً فائية ابن الفارض :

قلبي يُحَدِّثُنِي بِأَنَّكَ مُتَلَفِي عَجَّلَ بِهِ وَلَكَ الْبَقَا ، وَتَصَرَّفِ
قَدْ قُلْتُ حِينَ جَهِلْتَنِي وَعَرَفْتَنِي رُوحِي فِدَاكَ عَرَفْتَ أَمْ لَمْ تَعْرِفِ
أَنْتَ الْقَتِيلُ بِأَيِّ مِنْ أَحِبَّتَيْهِ فَلَكَ السَّعَادَةُ فِي الشَّهَادَةِ يَا وَفِي
وَلَقَدْ وَصَفْتُ لَكَ الْغَرَامَ وَأَهْلَهُ فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ فِي الْهَوَى مِنْ تَصَطَّفِي
وَقَالَ خُمَسًا قَصِيدَةَ ابْنِ النَّبِيِّ :

رَقِمَ الْمَذُولُ زَخَارِفًا وَتَصَنَّمَ وَأَشَاعَ تَقْضَى الْمَهْدِ عَنْكَ وَشَفَعَا
فَأَجَبْتُهُ وَالنَّفْسُ تَقْطُرُ أَدْمَعَا أَفَدِيهِ إِنْ حَفِظَ الْهَوَى أَوْ ضَيَّعَا
مَلِكَ الْفَوَادِ فَمَا عَسَى أَنْ أَمْنَعَا

حُكِمَ الْغَرَامُ فَلُذَّ بِهِ وَبِحَكْمِهِ وَابْتُتَ عَلَى مَفْرُوضٍ وَاجِبٍ رَسْمِهِ
وَاخْضَعَ لِمَعْدَلِ الْحُبِّ فِيهِ وَظَلَمِهِ مَنْ لَمْ يَذُقْ ظُلْمَ الْحَبِيبِ كَظَلَمِهِ
حُلُوءًا فَقَدْ جَهِلَ الْحَبَّةَ وَادَّعَى

يَا مَنْ بَلُطْفٍ بِجَالِهِ قَلْبِي اقْتَنَصَ صَبْرِي عَلَى الْأَعْتَابِ مِنْ جِلْدِي نَكَصَ
وَثَبَاتُ حُجْلِي حِينَ زَمَزَمْتُمْ رَقَصَ

يَا صَاحِبَ الْوَجْهِ الْجَمِيلِ تَدَارَكَ الْعَمَى بَرَّ الْجَمِيلَ فَقَدْ عَمَا وَتَضَمَّنَا
وَفَرَّتْ مِنْ نَبْلِ الْوَاظِحِ أَسْهُمِي وَكَلَّمْتُ أَحْشَائِي وَلَمْ أَنْكَلَمْ

وهجرتني ظلماً ولم أظلم هل في فؤادك رحمة لتتيم
ضمت جوانحه فؤاداً موحداً

إنني اعترفت بزغتي وجنابتي ورضاك مقصودي وغاية غايتي
يا من ضلالي فيه عين هدايتي هل من سبيل أن أبت صبايتي
أو أشتكي بلاي أو أتضرعاً ؟

لي في حماك مسارح ومطامح كم بت للفرلان فيه أطارح
يا قلب إن اليوم طيبك نازح يا عين عذرك أن حبي واضح
كلني لفرقتي أراد وأزماً

أشقى الناس أهواها

زين الدين أحمد بن علي بن الحسين بن علي الشافعي الحلبي ، ولد بحلب ونشأ بها وكان
له مذاكرة تأخذ بلبّ الصاحب ومحاضرات وترغّب من محاضرات الرغب ، وله شعر
قصير منه قوله :

كتبت وأفكارى بحبك مُزّقت كما قد بدت في الحب كل ممزق
ولو حُم لي التوفيق كنت تركته ولكنني أصبحت غير مُوفق
إذا قيل أشقى الناس من بات ذا هوى فلا تفكرن هذا المقال وصدق

وقال متغزلاً :

سألها عن فؤادي أين مسكنه فإنه ضلّ عني عند مسراها
قالت : لدى قلوب جمعت فأياها أنت تبني ؟ قلت : أشقاها

رابعة العدوية

روى ابن خلكان قصة « رابعة المدوية » شهيدة الحب الإلهي ، قال :
كانت أم الخير رابعة بنت إسماعيل المدوية البصرية ، مولاة آل عتيك ، من أعيان
عصرها ، وأخبارها في الصلاح والعبادة مشهورة .
وذكر أبو القاسم القشيري في « الرسالة » أنها كانت تقول في مناجاتها : إلهي .. أتحرق
بالتار قلباً يحبك ؟ ... فهتف بها مرة هاتف : ما كنا نفعل هذا فلا تظني بنا ظن السوء !
وكان سفيان الثوري عندها يوماً ، فقال : واحزنه ! فقالت له : « لا تكذب ، بل
قل : واقلة حزنه ! . لو كنت محزوناً لم يتهياً لك أن تتنفس .
وقال بعضهم : كنت أدعو لرابعة المدوية ، فرأيته في المنام تقول : هداياك تأتينا على
أطباق من نور مخمرة بمناديل من نور .

وكانت تقول : ما ظهر من أعمال فلا أعدّه شيئاً .
ومن وصاياها : اكنموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم .
وأورد لها الشيخ شهاب الدين السهروردي - في كتاب « عوارف المعارف » قولها :
إني جعلتك في الفؤاد محبتي وأبخت جسمي من أراد جلوسي
فالجسم مني للجلوس مؤانس وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

الحب أحسن المعاصي

في « لوعة الشاكي ودمة الباكي » لابن الصفي :
اتصف الليل ، وأقبلت عساكر السعد بالرجل والنخيل ، فأمرت صاحبي برفع المدام ،
وتجهيز المرقد للنم ، فرفع الأواني في الحال ، وأقبل على ذلك الشان وطال ، وعلق في المرقد
تفحات المسك الأذفر ، وأطلق فيه مباخر الند والمبر . ثم قال : أين ترسم لي أن أبيت ؟

فقلت : ثم عندنا لكن خارج البيت ، فأنت ممن تحققنا منه المروءة والشفقة ، فأخرج عناورده
الباب بالحلقة . ففعل ما أمرناه وخرج ، ولم يبق في الصدر هم ولا حرج فقلت لمحبوبي : أما تقوم
بنا لننام ، وأنعم بتقبيل الشعر واعتناق القوام ، فقال لي : أقوم ولكن العناق حرام ، فقلت :
في عنق تكون الأوزار والآثام :

فقام ينهضُ والصَّهْبَاءُ تُقْعِدُهُ سُكْرًا وَحَاوِلَ أَنْ يَسْمَى فَلَمْ يُطِقْ

وقال لي بفتورٍ من لواحظه إن العناق حرامٌ قلتُ : في عنق

فقال : استغفر الله من الفجور واللفظ ، ومن وقوعك أيها الإنسان في الغلط .

فقلت : لا تظن أن محبتك من المعاصي والسيئات ، واعلم أن هواك من أفضل الفضائل
وأحسن القربات .

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلَّا مِنْ مَحَبَّتِكَ فَإِذَا حَسَنَاتِي يَوْمَ الْقَاءِ

فإن زعمتم بأن الحب مَعْصِيَةٌ فَالْحُبُّ أَحْسَنُ مَا يُعْصَى بِهِ اللَّهُ

الهوى قدر

أخبرنا أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش . قال : أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد المبرِّدُ
قال : سألت أبا الفضل الرياشي عن معنى قول الشاعر :

الريح تبكي شجوها والبرق يلمع في النعامة

فقال : هو عندي كقولهم : ويل للشجي من الخلي . ومعناه : إن البرق يضحك
والريح تبكي .

وذهب بعضهم إلى أن المعنى أن الريح تبكي شجوها ، والبرق يبكي أيضاً وهو يلمع
في النعامة .

وأنشدنا أبو بكر الأصبهاني لنفسه :

إِلَّا تَكُنْ فِي الْهَوَى أُرْوَيْتَ مِنْ ظِلْمًا
لَقَدْ دَلَّتْ عَلَى أَنْ الْهَوَى بَدَلٌ
فَحَسِبُ نَفْسِي غِنَى عِلْمِي بِمَوْضِعِهَا
وَأَنْتَ خَالٍ وَقَلْبِي ذَا الَّذِي مَلَكَتْ
إِنِّي وَغَلَّةُ نَفْسِي فِيكَ قَائِمَةٌ
وَلَمْ يَكُنْ بِاخْتِيَارِي لِي فَأَتْرَكُهُ
لَكِنَّهُ مِنْ أُمُورِ اللَّهِ مُتَمَنِّعٌ
لَنْ يَضْبِطَ الْعَقْلَ إِلَّا مَنْ يَدْبُرُهُ
كُنْ مُحْسِنًا أَوْ مُسِيئًا وَابْقَ لِي أَبَدًا

وأنشدنا لنفسه في مثل هذا :

فَإِنْ تَكُنِ الْقُلُوبُ إِذَا تُجَارَى
فَالِ أَهْوَنُ الثَّقَلَيْنِ جَمْعًا
عَمِدْتُ سَيْنَ أَسْتَخْفِي التَّصَابِي
فَلَمْ تُقْلِعْ صُرُوفَ الدَّهْرِ حَتَّى
تَبْغِضَ مَا اسْتَطَعْتَ وَعَشْ سَلِيًّا

وأنشدنا أبو إسحاق الزجاج قال : أنشدنا أبو العباس محمد بن يزيد :

يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْغَادِي لِطَيْبَتِهِ
مَا عَالَجَ النَّاسُ مِنْ وَجْدِ الْمُبْتَلَمِ بِهِمْ
حَسْبِي رِضَاؤُهُ ، وَأَنَّى فِي حَبِيبَتِهِ
عَرَّجَ أَنْبَتَكَ عَنْ بَعْضِ الَّذِي أَجْدُ
إِلَّا وَجَدْتُ بِهِ فَوْقَ الَّذِي وَجَدُوا
وَوَدَّهَ آخِرَ الْأَيَّامِ اجْتَهَدُ

وأنشد سليمان بن عبد الله بن طاهر لأبيه :

إِلَّا إِنَّمَا الْإِنْسَانُ غَمْدٌ لِقَلْبِهِ
فَإِنْ كَانَ لِلْإِنْسَانِ قَلْبٌ قَلْبُهُ
وَلَا خَيْرَ فِي غَمْدٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ نَصْلُ
هُوَ النَّصْلُ ، وَالْإِنْسَانُ مِنْ بَعْدِهِ فَضْلُ

وَلَا فَكَنْتَ مِنَ الْأَغْلَالِ مَأْسُورًا
مِنْ أَجْلِ مَا كَانَ مَرْجُوءًا وَمَحْذُورًا
مِنْ الْهَوَى وَبِأَنِّي كُنْتُ مَعْدُورًا
هَوَاهُ تَقْسُكُ إِكْرَاهًا وَتَحْيِيرًا
لَمْ تَلْقَ مُذْ الْفِتْكَ النَّفْسُ تَغْيِيرًا
وَلَا اضْطِرَارٍ أَتَاهُ الْقَلْبُ مَقْهُورًا
فِي الْوَصْفِ قَدْرَهُ الرَّحْمَنُ تَقْدِيرًا
وَلَنْ تَرَى لِلْهَوَى فِي الْعَقْلِ تَدْيِيرًا
تَكُنْ لَدَى عَلَى الْحَالِينَ مَشْكُورًا

أنواع الحب

ضروب المحبة (١)

المحبة ضروب: أفضلها محبة المتحايين في الله ، ثم محبة القرابة ، ومحبة الألفة والاشتراك في المطالب . ومحبة التصاحب والعرفه . ومحبة البر يصنعه المرء عند أخيه ، ومحبة الطمع في جاه المحبوب ، ومحبة المتحايين لسر يجتمعان عليه ويلزمهما ستره . ومحبة بلوغ اللذة وقضاء الوطر ، ومحبة المشق الناشئة عن اتصال النفوس .

حب الولد (٢)

أرسل معاوية إلى الأحنف بن قيس فقال : يا أبا بحر ، ما تقول في الولد ؟ قال : ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، ونحن لهم أرض ذليلة ، وسما ظليلة . فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأرضهم ، يمحوك ودم ، ومحك جهدهم ، ولا تكن عليهم ثقيلاً ، فيملوا حياتك ، ويحبوا وفاتك . فقال معاوية : لله أنت يا أحنف ، لقد دخلت على وإني لملوء غضباً على يزيد ، فسألته من قلبي .

فلما خرج الأحنف من عنده ، بعث معاوية إلى يزيد بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب . فبعث يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب .

وكان عبدالله بن عمر يذهب بولده سالم كل مذهب ، حتى لامه الناس فيه فقال : يلومونني في سالم ، وألومهم وجلده بين العين والأنف سالم وقال : إن ابني سالماً ، ليحب الله حباً لو لم يخفه ما عصاه .

(١) في كتاب طوق الحمامة في الألفة والآلاف لابن حزم (٢) في العقد الفريد ج ١ ص ٢٧٧ .

وكان يحيى بن اليمان يذهب بولده داودَ كلَّ مذهبٍ حتى قال يوماً : أئمة الحديث أربعة ، كان عبدُ الله ، ثمَّ كان علقمةُ ، ثمَّ كان إبراهيمُ ، ثمَّ أنتُ يا داودُ .
وقال : تزوجتُ أمَّ داود ، فما كان عندنا شيءٌ ألقاهُ فيه حتى اشتريتُ له شِكْوَةً بِدَانِقٍ .

وقال زيد بن عليٍّ لابنه : يا بُنَيَّ ، إنَّ الله لم يرْضَكَ لي فأوصاك بي ، ورضيتني لك فحذرنيك ، واعلم أنَّ خَيْرَ الآباءِ للأبناء من لم يدعُ التَّذليلُ إلى التَّفريط ، وخَيْرَ الأبناء للآباء من لم يدعُ التَّقْصِيرُ إلى المَعْقُوق .

وفي الحديث المرفوع : « ریحُ الولدِ من ریحِ الجنة » . وفيه أيضاً : الأولادُ من ریحانِ الله .

وقال النبیُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لما بُشِّرَ بِفاطمة : « ریحانةُ أشمها ورزوها على الله » .

ودخل عمرو بن العاص ، على معاويةَ وبين يديه بنته عائشة . فقال : من هذه ؟ قال : هذه تَفَاحَةُ القلب . فقال له : انبذها عنك ، فوالله إنهنَّ لَيَكِلِدُنَّ الأعداء ، ويُقَرِّبُنَّ البُعداء ، ويورثنَّ الضَّغائن .

فقال له معاوية : لا تقل ذلك يا عمرو : فوالله ما مَرَضَ المرضي ، ولا نَدَبَ الموتى ، ولا أعان على الأحزان مثلهنَّ . وربَّ ابنِ أختٍ قد قع خالهُ .
وقال المَلِيَّ الطَّائِي :

لَوْلَا بُنَيَّاتُ كَزُغْبِ القَطَا يَرُدُّدُنَّ مِنْ بَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ
لَكَانَ لِي مُضْطَرَبٌ وَاسِعٌ فِي الأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ
وَإِنَّمَا أَوْلَادُنَا يَتِينُنَا أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى الأَرْضِ

وكانت فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تُرَقِّصُ الحُسَيْنَ بن عليٍّ رَضِيَ اللهُ

عَنْهُمَا وتقول :

إِنَّ بُنَيَّ شَبَهُ النَّبِيَّ لَيْسَ شَبِيهَا بِعَلِيٍّ

وكان الزبير بين العوام يرقص عروّة ابنه ويقول :
أبيض من آل أبي عتيق مبارك من ولد الصديق
التدّه كما الله ربق

وقال أعرابي يرقص ولده :
أعرف منه قلة الناس وخفة من رأسه في راسي
وقال عبد الملك : أضربنا في الولد حبنا له ، فلم تؤدبه ، وكان الولد أدبنا (١) .

* * *

حب الأياشي واليتامي

من بديع أخبار الحكم أن العباس الشاعر توجه إلى الثغر ، فلما نزل بوادي الحجارة ،
سمع امرأة تقول : واغوثاه بك يا حكم ، لقد أهملتنا حتى كلب العدو علينا فأيتمنا
وأيتمنا . فسألها عن شأنها . فقالت : كنت مقبلة من البادية في رقة ، فخرجت علينا خيل
عدو فقتلت وأسرت ، فصنع قصيدته التي أولها :

تململت في وادي الحجارة مسنداً أراعي نجوماً ما يرين تغيراً
إليك أبا العاصي نصيت مطيتي نسير بهم سارياً ومهجراً
تدارك نساء العالمين بنصرة فإنك أحرى أن تغيث وتنصراً

فلما دخل عليه أنشده القصيدة ، ووصف له خوف الثغر واستصراخ المرأة باسمه ،
فأنف ونادى في الحين بالجهاد والاستعداد ، فخرج بعد ثلاث إلى وادي الحجارة ، ومعه
الشاعر . وسأل عن الخيل التي أغارت من أي أرض العدو كانت ؟ فأعلم بذلك ، ففزا
تلك الناحية ، وأثخن فيها ، وفتح الحصون والديار ، وقتل من العدو عدداً كثيراً . وجاء
إلى الوادي فأمر بإحضار المرأة ، وجميع من أسير له أحد في تلك البلاد ثم أمر بضرب

(١) يريد بالوليد ابنه « الوليد بن عبد الملك » . (٢) في نفح الطيب ج ١ ص ١٦٢ .

رقاب الأسرى بحضرتهم ، وقال للعباس : سلها هل أغاثها الحكم ؟ فقالت المرأة وكانت نبيلة : والله لقد شق الصدور ، وأنكى المدور ، وأغاث الملهوف ، فأغاثه الله وأعز نصره .

فارتاح لقولها ، وبدا السرور في وجهه وقال :
 ألم تر يا عباس أني أجبتها على البعد اقتاد الخيس المظفرا
 فأدركت أوطارا . وأجردت غلة وفقت مكروبا وأغنيت مفسرا
 فقبل عباس يده وقال : نعم ، جزاك الله خيرا عن المسلمين .

* * *

أمثال في الحب (١)

قول لسان الدين الخطيب :
 أصناف المحبين والعشاق كثير ، بحيث يشق إحصاؤهم ، ولا يتأتى استقصاؤهم . كما أورد
 أبياتا من قصيدة أبي فراس الحمداني ، التي يقول فيها :
 تسأليني : من أنت ؟ وهى عليمة وهل بفتى مثلى على حاله نكر
 فقات كما شئت وشاء لها الهوى قتيلك ، قالت : أيهم فهم أكثر ؟
 وفي هذا تنبه النفوس الصعبة ، على حكم المحبة ، « ليهلك من هلك عن بينة ويحيى
 من حي عن بينة » .
 ثم قال المؤلف : « وهذه حكم تجري مجرى الأمثال : المحبة بحرٌ بعيد الشط ، والفناء
 منتهى الخط . المحبة مهوى من بعيد ، ومجال وعدٍ ووعد .
 المحبة ظهر لا يركبه من يرى الموت فيتنكبه . كم قصت المحبة من ظهر ، وكم سير
 صوت إلى قهر .

(١) في نفح الطيب ج ٢٩ أورد المؤلف قول لسان الدين الخطيب .

حجة بالغة

قال ابن السُّبُكِيِّ رحمه الله تعالى :

قالتُ : أَلَا لَا تَلِجَنَّ دَارَنَا	إِنَّ أَبَانَا رَجُلٌ غَايِرُ
قُلْتُ : فَإِنِّي حَاضِرٌ... زَائِرًا	وَلَا يُبْلِغُ الزَّائِرُ الْحَاضِرُ
قالتُ : فَإِنَّ اللَّيْثَ عَادَ بِنَا	قُلْتُ : فَسَيَفِي مَرَهْفٌ بَاتِرُ
قالتُ : فَإِنَّ الْقَصْرَ مِنْ دُونِنَا	قُلْتُ : فَإِنِّي فَوْقَهُ طَائِرُ
قُلْتُ : فَإِنَّ الْبَحْرَ مِنْ بَيْنِنَا	قُلْتُ : فَإِنِّي سَابِغٌ مَاهِرُ
قالتُ : فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ فَوْقِنَا	قُلْتُ : نَعَمْ ، وَهُوَ لَنَا غَافِرُ
قالتُ : فَحَوِّلِي إِخْوَةَ سَبْعَةٍ	قُلْتُ : فَإِنِّي لَهُمْ حَاضِرُ
قالتُ : لَقَدْ أَعْيَيْتَنَا حُجَّةً	فَأَتِ إِذَا مَا هَجَعَ السَّامِرُ
وَاسْقُطْ عَلَيْنَا كَسْقُوطِ النَّدَى	لَيْلَةً لَا نَامُ وَلَا آمِرُ

حب الأزواج

زواج النبي من خديجة (١)

قال صاحب كتاب « سنا المهتدى »

أهل السيرة مختلفون فيمن تولى تزويج السيدة خديجة رضي الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فذكر ابن إسحاق أنه صلى الله عليه وسلم مشى هو وعمه حمزة بن عبدالمطلب إلى والدها خويلد بن أسد في ذلك . وذكر غير ابن إسحاق أن خويلد كان إذ ذاك قد هلك ، وأن الذي أنكح خديجة هو عمها عمرو بن أسد . قال البرد : وهو الذي خطب خطبة النكاح ، وكان مما قال في تلك الخطبة : « أما بعد ، فإن عمداً ممن لا يوازن به نبي من قريش إلا رجح به ثرقاً ونبلاً وفضلاً وعقلاً ، وإن كان في المال قِل ، فإن المال ظل زائل ، وطارية مسترجعة ، وله في خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك » . فقال عمرو : هو الفحل لا يقرع أقره ، فأنكحها منه . ويقال : قاله ورقة بن نوفل . والذي قاله البرد هو الصحيح لما رواه الطبري عن جبير بن مطعم ، عن ابن عباس ، وعن عائشة . قال : إن عمرو بن أسد هو الذي أنكح ابنة أخيه خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن خويلداً هلك قبل ذلك .

وذكر الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لشريكه الذي كان يتجر معه في مال خديجة : هلم - فلنتحدث عند خديجة ، وكانت تكرمهما ، فلما قاما من عندها ، جاءته جويرية لها وقالت له : جئت خاطباً يا محمد ؟ قال : كلا . فقالت : ولم ؟ فوالله ما في قريش امرأة وإن كانت خديجة - إلا تراك كفواً لها . فرجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خاطباً لخديجة مُستخياً منها .

حب خديجة للنبي وتقديره لها

لقد من الله على عباده المؤمنين بقوله سبحانه : « يحبهم ويحبونه » ، والذين آمنوا أشدَّ حباً لله ، لو اتفقت مافي الأرض جميعاً ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » .

وقد شامت إرادة الله أن يلدنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نشأة كريمة طاهرة ، حتى عرف من حداثة سنه بالصدق والأمانة ، والبعد عن صنائر الأمور ، فاشتهر بالصادق الأمين . وقد سمعت خديجة وهي سيدة من نساء العرب به ، ورغبت في أن يتجر بها لها فكان نعم التاجر الصدوق المؤمن ، وربحت التجارة كثيراً ، لما اتصف به عليه الصلاة والسلام من خلق عظيم ، وقلب رؤوف رحيم .

وكان يصنجه خادمها « ميسرة » . . . الذي شاهد باشاهد من طيب الخلال ، والصدق في الأقوال ، والإخلاص في الأعمال . وقصَّ الخادم على سيده ذلك . ومن ثمَّ آنت في سيدنا محمد صفات كمال الرجال ، فمرضت عليه أن يتزوج بها ، فوافق شاكرًا راضيًا . ولقد كن يخطبها أكبر سادة العرب وجلَّةُ ساستهم فلم ترض بواحدٍ منهم .

وكانت على جانب عالٍ من السباحة وجمال الخلق والخلق معاً ، وكان هو صلوات الله عليه وسلامه ، يبلغ الخامسة والعشرين ، وتكبره بخمسة عشر ربيعاً . وصادف هذا الزواج المبارك ، بل حاله التوفيق واليمن ، فكانت نعم الزوجة الحبيبة الوفية الأمانة المخالصة .

وبينما كان يتحنث في غار ثور ، نأياً عما كان عليه شباب العرب ، حين ظهور جبريل عليه السلام لأول مرة ، وقال له : اقرأ . فأجابه النبي : ما أنا بقارئ . فضمَّه إليه ثم أرسله ، وأعاد عليه أخرى . وفي الثالثة : نزلت السورة :

« اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » .

وما لبث أن عاد النبي إلى زوجته يقول : « زملوني » وسرد عليها روايته ، فهدأت روعه بعد أن اختبرت حاله ، إذ خشيت عليه سوءا فقالت : والله لن يخرىك الله أبداً .

إنك تصل الرحم ، وترحم الأرمامل والأيتام ، وتؤوى الضعفاء والمساكين . ثم رأت أخيراً أن تعرض أمره على ابن عمها ورقة بن نوفل ، الكاهن . . . فبشره بأن هذا هو الناموس الذي ينزل على أنبياء الله ورسله ، وسيكون له شأن عظيم !

ولقد عاشرت خديجة رسول الله قبل الرسالة خمسة عشر عاماً ، حتى بلغ الأربعين ، معاصرة كلها الحب والوفاء . وعاش معها حياة العزة والكرامة والاطمئنان . وكم كانت ترفع من مكانته وهو الرفيع المكانة . فتقول : « كل شيء ملك محمد ، ليس لي فيه شيء » ، فهو صاحب الأمر والنهي . ولبثت معه ثمانية وعشرين عاماً ، في أتم وأكمل ما يتصوره العقل الذكي واللب الحكيم . إلى أن اختارها الله لجواره ، ولحقت بالرفيق الأعلى .

ولقد كانت أول من آمن به من النساء ، وكم حزن عليها سيدنا محمد صلوات الله عليه حزناً شديداً ، حتى ذكر عام وفاتها بعام الحزن . وما زال ، عليه الصلاة والسلام ، يذكرها بالخير والثناء بعد رحيلها ، ولم يتزوج عليها قط . فما إن كان يجلس مع عائشة الصديقة بنت الصديق وتذكر أن فلانة كانت حبيبة خديجة ، حتى قال : أعطوها وأكرموها . فنارت عائشة قائلة : أولم أكن يارَسُولَ اللَّهِ - أنا البكر - خيراً منها . فتغضب وتغير وقال والله يا عائشة ، ما عاد لها من النساء أحد ، لقد أمدتني فقيراً ، وأكرمتني معافراً ، وملأت عليّ أركان حياتي أنسا وسودداً . قالت عائشة : وقد أقسمت بحقه وحبّه ألا تذكرها إلا بخير .

خير متاع الدنيا المرأة الصالحة

قال صلى الله عليه وسلم : « تزوجوا الولود الودود من النساء ، فإن مكافئكم الأمم يوم القيامة » .

وقال أيضاً : « الدنيا متاع ، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » ونظر خالد بن صفوان إلى جماعة في مسجد البصرة فقال : أبني امرأة . فقيل له : ما صفتها ؟ قال : أريدها بكراً كثيب ، أو ثيباً كيبكر ، حلوة من قريب ، نعمة من بعيد ، كانت في نعمة وأصابها حاجة ، ففيها أدب النعمة وذل الحاجة ، إذا اجتمعنا كنا أهل دنيا وإذا افرقنا كنا أهل آخرة .

السيدة سكينة بنت الحسين

كانت سكينة بنت الحسين^(١) سيدة نساء عصرها ، ومن أجل النساء وأظرفهن وأحسنهن أخلاقاً . وتزوجها مصعب بن الزبير - فمات عنها ، ثم تزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله ابن حكيم بن حزام ، فولدت له قريباً ، ثم تزوجها الأصمعي بن عبد العزيز بن مروان وفارقها قبل اللخول . ثم تزوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فأمره سليمان بن عبد الملك بطلاقها لعدم قدرته على الوفاء بما طاعدها عليه من ألا يدخل معها غيرها من النساء ، فلم يسمع إلا الإذعان لأمر سليمان . ولاعتبار ضعف إرادته باتصاله بنيرها من الجوارى صارت طالقة . فطلقها ..

وقد قيل في ترتيب أزواجها غير هذا . وقيل أيضاً إن الطرقة السكينية منسوبة إليها . ولها نواذر وحكايات ظريفة مع الشعراء وغيرهم . من ذلك ما يروى من أنها ناظرت هروة بن أذينة - من أعيان العلماء وكبار الصالحين ، وله أشعار رائقة ، فقالت له : أنت القائل :

إذا وجدت أوار الحب في كبدي ذهبت نحو سقاء الماء أبرد
هبي بردت ببرد الماء ظاهره فمن لئار على الأحشاء تنقد ؟

فقال لها : نعم - فقالت : وأنت القائل :

قلت وأبنتها سرى وبخت به قد كنت عسدي تحب الستر فاستتر
ألست تبصر من حولي ؟ فقلت لها غطى هواك وما ألقى على بصري

والسيدة سكينة ابنة الإمام أبي عبد الله الحسين ، كانت أمها الرباب بنت امرئ القيس الكلبي . وقد تزوجها عبد الله بن الحسن - وهو أبو عذرتها - فمات - ويقال قتل مع الحسين - فتزوجها مصعب بن الزبير فولدت له ابنة فأرسل إليها : سمها زبراء ، قالت : اسميها باسم إحدى أمهاتي ، فسمتها خديجة أو فاطمة . فماتت ابنتها من مصعب ورحل إلى المراق فقتل عنها .

(١) ابن خلكان ج ١ .

وخطب سكينه عبد الملك بن مروان . فقالت أمها : والله لا أزوجه منه أبداً وقد قتل ابن أخى - تعنى مصعباً - فتزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام - وأم عبد الله بن عثمان رمله ابنة الزبير بن العوام - فولدت له سكينه ابناً يقال له قرين ، وحكيا ، وابنة . ويقال ابنتين . فمات عنها ، فتزوجها الأصمغ بن عبد العزيز بن مروان فأصدقها صداقاً كثيراً . فقال عبد الملك : إنا تزوجنا أحسابنا فلم نغرق في الصداق ، طلقها . فطلقها ، فقال أيمن بن خريم :

نكحت سكينه في الحساب ثلاثة فإذا دخلت بها فانت الرابع

إن البقيع إذا تتابع زرعه خب البقيع وخب فيه الزارع

فتزوجها زيد بن عمرو بن عثمان - فأصدقها صداقاً كثيراً واشترطت عليه ألا يمضى لها أمراً ولا يغيرها ، ولا يمنمها شيئاً تريده ، ولا يمنع أحداً يدخل إليها ، وأن يقيمها حيث رغبتها ، فتزوجها على هذه الشروط ، فقال له سليمان بن عبد الملك : يا زيد بن عمرو ، إنك شرطت لسكينه ألا تطأ جارية ، وعندك أمثال لها . وأنا أعلم أنك لا تصبر ، وأنت قد وطئت بمضهن ، وشرطت لها شروطاً لا تستطيع الوفاء بها ، وقد حرمت عليك سكينه . فطلقها زيد ، فتزوجها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، فأبى أهلها أن يرضوا ، فخاصموه ونحوا كوا إلى إبراهيم ابن هشام ، فقال له : انطلق فادخل على أهلك ، فإن حال بينك وبينها أحد فامنعه . وكان إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ثرساً كثير الشر - لما أراد أن يتزوجها بعد أن مكثت حيناً بعد زيد لا تخطب - فقالت لها مولاتها : جعلت فداك ، لا أرى أهل المدينة يذكروننا . فأجابتها : أما والله لأجعلن لهم حديثاً . وأرسلت إلى إبراهيم فقالت له : كيف أنت إن تزوجتك ؟ قال تجدينى خير الناس .

وكانت ظريفة عفيفة ، وأدبية فصيحة ، فوق ما امتازت به من إشراق الحياء ، ومماحة الخلق ، وملاحة الخلق . فقيل لها : ياسكينه ، أختك ناسكة وأنت مزاحة قالت : إنكم سميتموها باسم جدتها المؤمنة ، وسميتمونى باسم جدتى التى لم تندرك الإسلام^(١) .

(١) أختها فاطمة بنت الحسين ، سميت باسم جدتها فاطمة الزهراء ، وسميت سكينه بنت الحسين باسم آمنة جدتها أم الرسول صلوات الله وأزكى سلامه عليه .

ولقد شيب الفرزدق بها ، وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه والياً على المدينة
فأخرجه منها وتناه . فقال جرير في ذلك :
نَفَاكَ الْأَغْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِحَقِّكَ تَنْفَى مِنَ الْمَسْجِدِ
وطافت سكينه بنت الحسين - رضى الله عنهما - فلما انتهت إلى الركن اليماني أعيت
في أول طواف ، ونظر إليها العرجي ، فقال :
يَقْعُدْنَ فِي التَّطَوَّافِ آوَنَ وَيَطْفُنَّ أَحْيَانًا عَلَى قَر
حَتَّى اسْتَلَمْنَ الرُّكْنَ فِي أَنْفٍ مِنْ لَيْلَيْنِ يَطَّانَ فِي الْأَزْرِ
فَقَرَّغْنَ فِي سَبْعٍ وَقَدْ جِهَدَتْ أَحْشَاؤُهُنَّ مَوَائِلَ الْخُمْرِ
فسمعت شعره امرأة ووصفته لها ، فحفظت الشعر ، وقالت : « لو أن الرجال طُفْنَ سَبْعًا
لجهدت أحشأؤهن » .
وكانت سكينه - رضى الله عنها - على جانب وافر من الخلال العلية فوق ما امتازت به
من كريم المحمّد ، ودمائة الطبع والجمال .

عاتكة بنت زيد

كانت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن ثعلبة ، عند عبد الله بن أبي بكر بن أبي قحافة .
فأحبها ، فكان ربما ترك الصلاة جماعة بسبب مكثه معها ، لما اتصفت به من حسن الصورة
وسماحة الخلق . وكانت عبلة الجسم ، مكنتزة اللحم ، على قسط وفير من العلم والأدب ،
والعرفة بالشعر ، مما دعا عبد الله إلى الانشغال بها . فأمره أبو بكر رضى الله عنه بطلاقها
قائلًا له : قد فتنك عن دينك ، وشغلتك عن معيشتك ، فطلقها وقال :

وَلَمْ أَرْ مِثْلِي طَلَّقَ الْيَوْمَ مِثْلَهَا وَلَا مِثْلَهَا فِي غَيْرِ جَرَمٍ تَطَلَّقُ
لَهَا خُلُقٌ مَمْحُورٌ وَرَأْيٌ وَمَنْصِبٌ وَخُلُقٌ سَوِيٌّ فِي الْحَيَاءِ وَمَصْنُوقٌ
أَعَاتِكَ ، لَا أَنْسَاكِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا وَمَا نَاحَ قَرِيئُ الْحَمَامِ الطَّوْقُ

أعانتك لا أنساك ما حجّ راكبٌ وما لاح نجمٌ في السماء مُخلّقٌ
أعانتك ، قلبي كلّ يوم وليلة إليك بما تخفى النفوس معلقٌ
ولولا اتقاء الله في حقّ والدٍ وطاعته ما كان منا التفرّقُ
فبلغ أبا بكر شعره فأمره فراجعها ، وكانت عنده حتى مات شهيداً ، أصابه سهم
في حصار الطائف فانتفض به جرحه فمات ، قال لماتكة حين احتضير : لك حديقةٌ من مالى
ولا تزوجي . قبلت ذلك . وقال حين راجعها :

أعانتك ، قد طَلقت عني بُعْصَةً وراجعت للأمر الذى هو كائنٌ
كذلك أمرُ الله غادرٍ ورائحٌ على الناس فيه ألفةٌ وتباينٌ
وقد كان قلبي للتفرّق طائرًا وقلبي لما قد قرب الله ساكنٌ
أعانتك إنى لا أرى فيك سقطةً وإنك قد حلتَ عليك المحاسنُ
وإنك مما زينَ الله أمره وليس لما قد زينَ الله شأنُ

فمات عبد الله وترك سبعةً دنائير ، فقال أبو بكر : إنا لله ، كيف يصبر ابنى على سبع
كيات^(١) فلما مات عبد الله ، قالت عاتكة تربيته :

فَجِئْتُ بِخَيْرِ النَّاسِ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ وبعْدَ أَبِي بَكْرٍ ، وما كلُّ قَصْرًا
فَأَلَيْتُ لَا تَشْفِكَ عَيْنِي سَخِينَةً عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُ جِلْدِي أُغْبَرًا
مدى الدهر ما غنت حمامةً أبكةً وما طرَدَ الليلُ الصباخَ النورًا
فَلِلَّهِ عَيْنًا مَنْ رَأَى مِثْلَهُ فَتَى أَكْرًا وَأَحْمَى فِي الْجِهَادِ وَأَصْبَرًا
إذا فرغت فيه الأسنّةُ خاضها إلى الموت حتى يترك الرُّمَحَ أَحْمَرًا

ثمّ ما لبثت أن خطبها عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقالت : إنى قد جعلتُ على نفسى
ما لا أقدر معه على التزويج . فقال : استفتى ابن أبى طالب رضى الله عنه . فاستفتته فقال
رُدِّى عليهم ما أخذته منهم وتزوجي . فردّت الحديقة ، فتزوجها عمرُ . رضى الله عنه .

(١) يعنى بذلك جزاءه على ما أكثر من الدناير « يوم يحصى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم
وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأفئسكم ... »

فلما دخل بها أولم ، فدنا على رضى الله عنه من خدريها وقال :
فأليت لا تنفك عيني سخينة عليك ولا ينفك جلدي أغبراً
فبسكت ، فقال عمر : ما أردت إلا أن تُفسد علينا أهلنا .

ويقال : قال هذه المقالة عبد الرحمن بن أبي بكر . فلما قُتل عُمر قالت :
وفجعتني فيروز لادر دره بأبيض تال للقران منيب
رؤوف على الأذى غليظ على العدا أخى ثقة في السائبات نجيب
متى ما يُقل لا يكذب القول فعله سريع إلى الخيرات غير قطوب

وقالت :

عين جودي بمسرة ونحيب لا تملى على الإمام النجيب
فجعتني المنون بالفرس المة دم يوم الهياج والتذيب^(١)
عصمة الناس والمعين على الله ر وغيث المنتاب والمحروب
قل لأهل الضراء والبأس : موتوا قد سقته المنون كأس شوب

نخطبها طلحة بن عبيد الله ، فشئى فى أمرها هبار بن الأسود ، فأفسد عليه ، فتزوجها
الزبير بن العوام ، فنهاها عن الخروج إلى المسجد ، فقالت : أتنهاني عن الخروج إلى
الصلاة وقد قال عليه الصلاة والسلام : « لا تمنعوا إماء الله من مساجد الله » فأعرض عن
ذلك أياماً ، ثم قعد لها فى طريقها ليلاً ، فلما مرت به ضرب عجزها بيده . وكانت عظيمة
العجيزة جميلة - فرجعت إلى بيتها واسترجعت وقالت : سوءة إنا لله . وتركت الخروج ،
فقال لها الزبير : مالك تركت الصلاة فى المسجد ؟ فقالت : قد فسد الناس أبا عبد الله .
فقتل عنها ، فقالت :

غدر ابن جرموز بفارس بهمة يوم اللقاء وكان غير ممرّد
يا عمرو لو نهته لوجدته لا طائشاً رعى الجنان ولا اليد
شئت يمينك إن قتلت لمسلماً حلت عليك عقوبة المتممّد

(١) أكثر الذب والدفع . وفى الأغاني التلبيب .

ثم خطبها علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقالت : إني أشفق عليك من القتل ،
لم أتزوج رجلاً إلا قُتِل ، فتزوجها محمد بن أبي بكر فخرجت معه إلى مصر ، فُقُتِلَ ومُثِّلَ به ،
فقالت :

لَئِنْ تَقُتُلُوا أَوْ تَمُتُّلُوا بِمَحْمَدٍ فَمَا كَانَ مِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ وَلَا الْحَرِّ (١)
فتزوجها عمرو بن العاص .

وروى أن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - حدث مرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « لا تمنعوا النساء من الخروج بالليل إلى المساجد » فقال ابن له :
لَا تَدْعُهُنَّ يَخْرُجْنَ فَيَتَّخِذْنَ دَفْلًا . فزجره وقال له : أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وَسَلَّمَ ثُمَّ تَقُولُ : لَا تَدْعُهُنَّ ؟ !

وذكر أبو بكر الخرائطي رحمه الله في كتاب « اعتلال القلوب » قال : كانت حاتكة
بنت زيد بن عمرو بن نفيل عند الزبير بن العوام رضي الله عنهما - فاستأذنته في الخروج إلى
المسجد ، فشق عليه ذلك وكره أن يمنحها . فأذن لها ، ثم انكمن لها في موضع مظلم من
الطريق ، فلما مرت عليه وضع يده على بعض جسدها ، فسكرت راجعة وسبقها الزبير إلى
الدار ، فلما دخلت عليه تُسَبِّحُ ، قال لها : ماردك عن وجهك ؟ قالت : كنا نخرج والناس
نامن ، وأما اليوم فلا ، وتركت طلب المسجد .

زواج امرئ القيس

نقل الجرجاني في كتاب « الكنايات » عن كتاب « الأغاني » لأبي الفرج الأصبهاني ،
أن عبد الملك بن عمير قال : آلى امرؤ القيس بن حجر ألا يتزوج امرأة حتى يسألها
عن « ثمانية وأربعين » فجعل يخطب النساء ، فإذا سألهن عن هذا قلن : أربعة عشر . .
فبينما هو في جوف الليل إذا هو برجل - معه ابنة صغيرة له كأنها البدر لته ، فأعجبته فقال لها :

(١) يقال : مثل به يمثل مثلاً ، مثل : قتل يقتل قتلاً ، ومثل به تمثيلاً : إذا نكل به .

يا جارية ، ما ثمانية وأربعة واثنان ؟ قالت : أمّا ثمانية فأطباء الكلبة ، وأما أربعة فأخلاف الناقة ، وأما اثنان فشديا المرأة . فخطبها من أبيها ، فزوجه إياها وصرطت هي عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال ، فأجابها موافقاً ، وعلى أن يسوق إليها مائة من الإبل ، وعشرة أعبد ، وعشر وصائف ، وثلاثة أفراس . ثم إنه أرسل عبده إلى المرأة فأهدى إليها نَحِيّاً من يمن ، ونَحِيّاً من عسل ، وحلة من قصب ، فنزل العبد في بعض المياه فنشر الحلة فلبسها ، ثم أتاها - وهي خلوفاً - فسألها عن أبيها وأُمّها وأخيها ، ودفع إليها هديتها . فقالت له : أعلم مولاك أن أبي ذهب يقرب بعيداً ويبعد قريباً ، وأن أمي ذهبت تشقّ النفس نفسين ، وأن أخي يراعى الشمس ، وأن سماءكم انشقت ، وأن وطاءكم غضب . فقَدِمَ الغلام على مولاه فأخبره ، فقال : أمّا قولها ذهب يبعد قريباً ويقرب بعيداً فإن أباهما ذهب يخالف على قومه ، وأمّا قولها ذهبت تشقّ النفس نفسين فإن أمّها ذهبت تقابل نقساء ، وأمّا قولها أخي يراعى الشمس فإن أخاهما في سرح له يرعاه ، وأمّا قولها : إن سماءكم انشقت فإن البرد الذي بعثت به انشق ، وقولها : إن وعاءكم غضب فإن النّحيين اللذين بعثت بهما نقصا . فاصدقني ، فقصّ عليه الغلام القصة .

ثم إن امرأ القيس ساق مائة من الإبل ، وخرج نحوها ومعها الغلام ، فقام الغلام يسقي الإبل ، فعجز عنها ، فأعانه امرؤ القيس . فرمى به الغلام في البئر ، وخرج حتى أهل المرأة بالإبل ، وأخبرهم أنه زوجها . فقيل لها : قد جاءك زوجك . فقالت : والله لا أدرى أزوجي أم لا ؟ ولكن انحروا له جزوراً وأطعموه من كرشها وذنبها . ففعلوا وأكل ، ثم قالت : اسقوه لبناً خائراً أي حامضاً - فشرب فقالت : افرشوا له عند الفرث والدم ، فنام . فلما أصبحت أرسلت إليه : إني أريد أن أسألك فقال : سليني عما شئت . فقالت : همّ تختليج شفتاك ؟ فقال : لتقبلي إياك . قالت : همّ يختليج فخذاك ؟ فقال : لتوركي إياك . قالت : عليكم فشذوه وثاقاً ، ففعلوا .

واجتاز قوم بامرئ القيس فأخرجوه من البئر ، فرجع إلى نَحِيّه وساق مائة من الإبل ، وأقبل إلى امرأته فقيل لها : قد جاء زوجك فقالت : والله لا أدرى أزوجي أم لا ؟ ولكن

انحروا له جزوراً وأطعموه من كرشها وذنبها ففعلوا . فلما أتوه بذلك - قال : فأين الكبدُ
والسنامُ واللحى ؟ ! وأبى أن يأكل . فقالت : اسقوه لبناً خائراً . فأتى به ، فأبى أن يشربه
وقال : أين الضريب والريية ؟ ! فقالت : افرشوا له عند الفرث والدم ، فأبى أن ينام . وقال :
افرشوا لي على القلعة الحمراء ، واضربوا عليها خباء . ثم أرسلت إليه : هلمَّ فشرطتُ عليك
في المسائل الثلاث ، فأرسل إليها : أن سلى عما شئت . فأرسلت إليه : ممَّ يختلج شفتاك ؟
قال : لشرب الشمشعات . قالت : فممَّ يختلج كَشْحَاك ؟ قال : للبسى المحبرات . قالت :
فممَّ يختلج نفذاك ؟ قال : لركوبى المظلمات . قالت : هذا زوجى لعمري فعليكم به ، واقتلوا
المبد ، فقتلوه .

ودخل امرؤ القيس بالجارية التى أحبها حين رآها ، فاعجب بجمالها ، وسألها ، فكان
جوابها شافياً .

وكانت بذكائها جديرة بأن تكون قرينة محبوبه له .

ولاء أم عقبة لابن عمها غسان

كانت أم عقبة ، وهى امرأة من بنى يشكر - عند ابن عمِّ لها يقال له : غسان ، ولما
شعر بدنو أجله أو قرب موته سألتها عما تصنع بعده قائلاً :

أخبرى بالذى تريدن بعدى والذى تضمرين يا أم عقبة
تحفظين من بعد موتى لما قد كان منى من حنين خلق وصحبه
أم تريدن ذا جمال ومال ؟ وأنا فى التراب فى سجن غربة
فقالت : والله لا أجيبك بكذب ، ولأجعلنه آخر حظى منك ، وأنشدته :

قد سمعت الذى تقول وما قد يا ابن عمى تخاف من أم عقبة
أنا من أحفظ الوداد وأرعا هـ لما قد أوليت من حُسن صحبه
سوف أبكيك ما حيت بنوح ومرات أقولها أو بندبه

فلما سمعها أنشأ يقول :

أنا والله واثق بك لكن احتياطاً أخافُ غدر النساء
بعد موت الأزواج ياخير من عو سر ، فارعى لي حقَّ حُسْنِ الوفاء
إننى قد رجوت أن تحفظى العـ د ، فكونى إذا متُّ عند الرجاء

زواج حاتم الطائي (١)

أخبرنا محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ قال : أخبرنا عبد الرحمن بن أخى الأصمى ، عن عمته ،
وأبو حاتم عن أبي عُبَيْدة . قال :

كانت امرأة من العرب ، ذات جمال وكمال وحسب مال ، قد آلت أن لا تزوج نفسها
إلا كريماً ، ولئن خطبها لثيم لتجدعنَّ الله ، فتحمأها الرجال ، حتى انتدب لها زيد
الخليل ، وحاتم بن عبد الله ، وأوس بن حارثة بن لام الطائيون ، فارتحلوا إليها ، فلما دخلوا
عليها قالت : مرحباً بكم ، ما كنتم زواراً ، فما الذى جاء بكم ؟ فقالوا : جئنا زواراً وخطاباً .
قالت : أ كفاء كرام . فأنزلتهم ، وفرقت بينهم ، وأسبغت لهم القري وزادت فيه .
فلما كان اليوم الثانى بعثت بعض جواريتها متنكرة فى زى سائلة ، تتعرض لهم ،
فدفع لها زيد وأوس شطراً ما حمل إلى كل واحدٍ منهما ، فلما صارت إلى رجل حاتم دفع إليها
جميع ما حمل إليه .

فلما كان اليوم الثالث ، دخلوا عليها فقالت : ليصف كل واحدٍ منكم نفسه فى شعره
فابتدر زيد وأنشأ يقول :

هتلاً سألتَ ربي نهبانَ ما حسبي عند الطعانِ إذا ما اهرَّتِ الحدقُ
وجاءت الخيل مُحمَّراً بَوَادِرُهَا بالساء يسفح عن لَبَائِهَا المَلَقُ

(١) فى أمالى الزباجى .

والخيلُ تعلمُ أنى كنتُ فارسها والجارُ يعلمُ أنى الوابلُ الغدقُ
هذا الثناء ، فإن ترَضَى فراضيةٌ أو تسخطى فإلى من تعطفُ العُنُقُ
وقال أوس بن حارثة : إنك لتعلمين أنا أكرمُ أحساباً وأشهرُ أفعالاً من أن نصف
أنفسنا لك ، أنا الذى يقول فيه الشاعر :

إلى أوس بن حارثة بن لامٍ ليَقْضَى حاجَتى فيمن قضاها
فما وطئُ الحصا مثل ابن سَعْدَى ولا لبس النعال ولا احتذاها
وأنا الذى عُنْتُ عقيقته فأعتقت عن كل شعرة منها نسمة ، وأنشأ يقول :

فإن تنكحى ماوية انخير حاتماً فما مثلهُ فينا ولا فى الأعاجم
فتى لا يزال الدهر أكبرَ همّةً فكأنَّ أسير أو معونة غلام
وإن تنكحى زيدا قنارس قومه إذا الحربُ يوماً أقعدت كل قائم
وإن تنكحينى تنكحى غير فاجرٍ ولا جارفٍ جرف المشيرة هادم
ولا مُتَّقٍ يوماً إذا الحربُ سمرت بأنفسها تقسى كفعل الأشايم
وإن طارق الأضياف لآذ برحله وجدت ابن سَعْدَى للقرى غير طامٍ^(١)
فأنى هُدَى أهدى لك الله فاقبلى فإننا كرام من رؤوس الأكارم
وأنشأ حاتم يقول :

أماوى قد طال التجنب والهجرُ وقد عذرتنى فى طلابكم العذرُ
أماوى إما مانعٌ فمبينٌ وإما عطاء لا يُنْهِنُهُ الرجزُ
أماوى ما يعنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصبرُ
وقد علم الأقوام لو أن حاتمًا أراد ثراء المال كان له وفرُّ

إلى أن أتى على القصيدة ، وهى مشهورة . فقالت : أما أنت يا زيد ، فقد ورت العرب ،
وبقاؤك مع الجرة قليل . وأما أنت يا أوس ، فرجل ذو ضرائر ، والصبر عليهن شديد .
وأما أنت يا حاتم ، فمرضى الخلائق ، محمود الشيم . كريم النفس ، قد زوجتك تقسى !

(١) أى : غير مبطل .

حبّ سحيم لعائشة بنت طلحة

قال أبو الحسن على المدائني :

تزوج سحيم بن حفص - بمائشة ابنة طلحة عبد الرحمن بن أبي بكر ، وهو أبو عذرتها فولدت له أولاداً ، منهم طلحة الذي يقول له الشاعر :

أيا طَلَحَ إن كنتَ أعطيتني جَمَالِيَّةَ تستخِفُّ الضَّفَارَا
فأكان تَعَمَّك لي مَرَّةً ولا مَرَّتَيْنِ ولكنَّ صَرَارَا
أبوك الذي بايع المصطفي وسار مع المهدي حيث سارَا

وقال أيضاً عن سحيم : صارت عائشة زوجها ، وكان في خُلُقها زعارة ، وكان يلقى منها البلاء ، فقل له : طَلَّقْهَا ، فقال :

وإنَّ فراقَ أهل بيت أودَّهم لهم زُلْفَةٌ عندي لإحدى المظالم
فكيف يصنو الميش من بعد بَيْنِهِم وسُخْطُهُم يوماً . . عن الأنفِ خاطمي
وخطبها مصعب بن الزبير فقالت : إن تزوجته فهو علي كظهر أمي . ثم سألت أهل
المدينة فقالوا : اعتق رقبةً وتزوجيه . فتزوجها فأصدقها خمسمائة ألف ، وأهدى لها خمسمائة
ألف . فقال أنس بن أبي أنس بن زعيم :

تعطى الفتاة بألف ألف كامل وتبيت سادات الجنود جياعاً
لو في أبي حفص أقولُ مقاتلي وأبشُّ ما قد أرى لارتاعاً
فبلغ الشعرُ عبد الله بن الزبير فقال : إن مصعباً قدم خيره .

وقال أبو الحسن عن الشعبي : كان يجالسنا أيام الفتنسة رجل فقلت : من أنت ؟
قال : مولى طائفة بنت طلحة ، خطبها مصعب بن الزبير وتزوجها فأحبها ، وكانت
امراًة جميلة في أذنها عِظَمٌ ، وفي ساقها حموشة^(١) . وقال قوم : في قدمها عِظَمٌ .

(١) الحموشة : الدقة .

وروى عن الشعبي أنه قال : أخذ بيدي مصعب ، ففضى وأنا معه حتى دخل منزله ويده في يدي ، فرفع ستراً فإذا عائشة ، وإذا هي أحسن الناس وجهاً ، فأعرضت وخلاني ودخل ، فرجعت . ثم رحتُ إليه بالمشي وهو جالس ، فأشار إلي بيده وقال : أرايت ذاك الإنسان ؟ قلت : نعم . فقال : أرايت مثله ؟ قلت : لا . قال : تلك ليلي التي يقول فيها الشاعر :

ومازلتُ من ليلي لئن طرشاربي إلى اليوم أخفى حبها فأباين^(١)
وأحملُ في ليلي لقلبي ضغينةً وتُحملُ في ليلي على الضنائنُ

ياشعبي : رأيت عائشة وما يدلك إذ رأيتها من صلة ، ثم قال لا بن أبي فروة : أعط الشعبي عشرة آلاف درهم وعشرين ثوباً . فقتل عنها مصعب . وأنبأ الحسن قال : قال سلم بن قتيبة : رأيت عائشة بنت طلحة بمكة في المسجد ، فسلمت عليها وانتسبت لها ، فبكت وقالت : يرحم الله مصعب ، ثم أرادت النهوض ، فأخذت امرأتان يديها . وعندها نسوة . فاعتمدت على المرأتين ، فلهكادت أن تستقل حتى خذلها وركها ، فقالت إحدى المرأتين : إننا بك لمتعبات ، وكانت مديدة الجسم ، مكتنزة اللحم ، على نصيب وافر من حسن الصورة وإشرافها .

الثريا وعمر بن أبي ربيعة (٢)

حدثنا الزبير بن بكار ، عن مسلمة الخزومي عن أيوب : أن عمر بن أبي ربيعة كان متعلقاً بالثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر . وكانت أهل ذلك جمالاً وتاماً ، وكانت تصيف بالطائف . وكان عمر يندو عليها على فرسه ، فيسأل الركبان الذين يحملون الفاكهة من الطائف عن الأخبار ، فلقى يوماً بعضهم فسأله عن أخبارهم ، فقال : ما استطرفنا خبراً ، إلا أننى سمعت عند رحيلنا صوتاً وصياحاً عالياً على امرأة من قريش نسيت اسمها ، ولعله نجم في السماء . فقال عمر : الثريا ؟ قال : نعم .

(١) البيتان لكثير عزة كما في الأغاني (٢ : ١٣٢) وروايته : « وأداجن » .

(٢) في الأغاني ج ١ .

وكان عمر قبل ذلك قد بلغه أنها عليلة ، فَوَجَّهَ فرسه إلى الطائف يركضه ، وسلك أخشن الطرق وأقربها ، حتى انتهى إلى الثريا ، وقد توقفته وهي تتشوف له فوجدها سليمة ومعهما أختاها : رضيا وأم عثمان ، فأخبرها الخبر فضحكت وقالت : أنا أمرتهم لأختبر مالى عندك فقال عمر في ذلك هذا الشعر :

تشكى الكُمَيْتُ الجَرَى لما جهدهُ ويئن لو يستطيع أن يشكَّمَا
فقات له : إن ألقَ للمين قرَّةً فهان على أن تكلَّ وتسأما
لذلك أدنى دون خيلٍ رباطه وأوصى به ألا يهان ويكرما
عدمت إذن وفرى وفارقت مهجتي لئن لم أقل قرناً إن الله سلماً

فقال مسلمة بن إبراهيم : قلت لأيوب بن مسلمة : أكانت الثريا كما يصف عمر ابن أبي ربيعة ؟ فقال : وفوق الصفة ، كانت والله كما قال عبد الله بن قيس :

حبذا الحجُّ والثريا ومن بال خيف من أهلها وماقى الرُّحالِ
ياسليان إن تلاق الثريا تلقَ عيشَ الخلود قبل الهلالِ
دُرَّةٌ من عقائل البحر بكر لم يشنها مُثاقِبٌ للآلى
تمعد المنزر السَّخَام من الحرِّ على حقو بادئ مكسالِ

وحدثنا عمر بن شبة قال : أخبرنا محمد بن يحيى قال : زعم عبيد بن يعلى - قال حدثني كثير بن كثير السهمي قال : لما ماتت الثريا ، أتاني النريض فقال لي : قل أبيات شعر أنح فيها على الثريا ؛ فقلت :

ألا ياعين مالكِ تدمعينا أمن رمدٍ بكيت فتكحلينا ؟
أم أنت حزيمة تبكيين شجواً فشجوك مثله أبكى العيونا !

أبو الأسود الدؤلي وامراته وابنها

قال صاحب « سناء المهتدى » .

تنازع أبو الأسود الدؤلي وامراته في ابن لهما ، وترافعا إلى زياد - وأراد كل أخذه ، فقالت المرأة : أصلح الله الأمير ، هذا ابني ، كان بطني وعاءه ، وحجري فناءه ، وثديي سقاءه ، أكلؤه إذا نام ، وأحفظه إذا قام ، فلم أزل بذلك سبعة أعوام ، حتى استوفى فصاله ، وكملت خصاله ، واستوكت أوصاله ، وأملت نفعه ، ورجوت دفعه ، أراد أن يأخذه مني كرها ، فأنصفتني فقد أراد قهرى ، وحاول قسرى .

فقال أبو الأسود : حملته قبل أن تحمله ، ووضعتُه قبل أن تضعه ، وأنا أقوم عليه في أدبه ، وأنظر في تقويم أوده ، وأمنحه على ، وألهمه حلمي ، حتى يكمل عقله ، ويستكمل قبله .

فقالت المرأة : صدق أصلحك الله . حمله خفا ، وحملته ثقلا ، ووضعه سهوة ، ووضعتُه كرها .

فقال زياد : اردد على المرأة ولدها فهي أحق به منك ، ودعنا من سجعك .

* * *

المجرّد والمرأة التي تبعها

قال ابن وهب : تبعْتُ جارية إلى منزلها ، طامعاً فيها . فسقتني نبيذاً وغنّت على عُودها بصوتٍ ما سمعت أعذب منه ، ولا أنفد إلى القلب :

كأني بالمجرّد قد علّته . . . نعال القوم أو خشب السواري

فقلت لها : جعلتُ فداءك ، لم أفهم هذا الشعر ولا أحسبه مما يُفنى به . قالت : أنا أول من تنسني به ، وإنما هو بيت لا يدري قائله ومعه بيت آخر .

قلتُ : سرّيني بأن تُغنّيه لعلّي أفهمُ . قالت : ليس هذا وقته ، هو آخر ما أتغنّي به .
قال : وجعلتُ لأنازعها شيئاً إجلالاً لها وإعظاماً ، فلما أمسيتها وجاءت المشاء الأخيرة ،
وضمت عودها ، فقامتُ فصلّيتُ وما أدري كم صلّيتُ عجلةً وتشوّقاً . فلما سلمتُ ، قلتُ :
تأذنين لي بجعلتُ فداءك في الدنوّ منك ؟

قالت : هذا لك ، ولكن بعد أن يتجرّد كلُّ منّا . ثمّ ذهبت كأنها تريد أن تخلع ثيابها ،
فكدت أن أشقّ ثيابي من العجلة للخروج منها ، ولما قمت بين يديها متجرّداً . قالت :
اتنه إلى زاوية البيت ، وأقبل إلى مقبلاً ومدبراً . قال : وبينما أنا في طريقى إلى الزاوية ، أردت
اجتياز حصر في النرفة ، فما كدت أن أستقرّ فوقه حتّى هبط بي في خرّق تحته ، وإذا أنا
في السوق مجرّداً ، وإذا شيخان هناك قد كُنا في ناحية ، وأعدّا نعالهما . فلما هبطت عليهما
بأدراى فقطماً نعالهما على قفّاي ، وجاء أهل السوق ، فشاركهم في ضربى حتّى أنسيتُ اسمي
وبينما أنا أخبطُ بنعالٍ مخصوفةٍ ، وأيدٍ ثقّالٍ ، وخشبٍ دقاقٍ ، إذا صوتٌ من فوق البيت
ينغنى :

كأنى بالجرّد قد علته نعالُ القوم أو خُشبُ السّوارى
ولو عِلِمَ الجرّد ما أردنا لبأدرنا الجرّد في الصّحارى

الشعراء العشاق

جميل بثينة (١)

إنَّه لمَعلوم أن بُثَيْنَةَ محبوبَة جميل قائد الشعر، وقد نسب بعض الشعراء بنساء مخصوصة، واشتهر كل واحد منهم بمن تنزل بها، فاشتهر جميل ببثينة، واشتهر كثير بمرزة، وعروة ابن حزام بمرءاء، وقيس مجنون بنى عامر بليلي، وقيس بن ذريح بلبنى، والمرقس بفاطمة، وذو الرمة بمَيَّة وهي الخرقاء، والعباس بن الأحنف بفوز.

وبعض الشعراء لا يلتزم التنزُّل بامرأة مخصوصة كاهمى القيس .
وبُثَيْنَةُ مصنَّر . بثْنَةٌ - قال صاحب الصحاح : البثْنَةُ - بالتسكين : الأرض اللينة ،
وبتصغيرها سَمِيَتْ : بُثَيْنَةٌ .

أما قصة جميل بن معمر العذري ، فقد روى صاحب « الأغاني » بسنده ، قال :
اجتمع جميل مع جماعة من رهطه يتحدثون . فقال بعضهم : بالله حدثنا بأعجب يوم لك مع
بثينة . قال : نعم . مُنِمْتُ من لثائي مدة ، وتعرَّضْتُ لها جهدي فلم أصل إليها ، فبينما أنا ذات
ليلة جالس بين شجرات بالقرب من حيها ، وقد أقيتُ ثلاثاً أنتظرها ، إذا شخص قد أقبل
إليّ ، فجلست وانتضيت سيقى ، فلم ألبث أن غشيتني الشخص ، فإذا هي بثينة قد أكتبت
عليّ . فأدهشني ذلك ، وبقيت متحيراً لا أحيِر جواباً إليها ، ولا أراجعها كلمة حتى برق الصبح ،
وما استطعت أن أكلمها .

قالوا : فهل قلت في ذلك شيئاً ؟ فأنشدهم قصيدة طويلة ..

وهذه أبيات من أولها :

أهاجك أم لا بالتناضب مَرَجُ ورسمٌ بأحراج النديرين ، بَلَقُ

ديارُ الليل^(١) . . إذ نُحِلُّ بها مَآ
 فياربَ حَبْنِي إليها ، وأعطني الـ
 وإلا . . فصَبَّرْني وإن كنتَ كارهاً
 فإن يَكْ قد شطتْ نواها وقد نأت
 جزعتُ غداةَ البين لما تَحَمَّلُوا
 وتمتُّ منها يومَ بانُوا بنظرةٍ وهل عاشقٌ من نظرةٍ يَتَمَتَّعُ؟
 وإذا نحن منها في الموتة نَطْمَعُ
 مودةً منها ، أنت تعطى وتَمْنَعُ
 فإني بها إذا المارج مَوَلَعُ
 فإن القوي مما تُشِيتَ وتَجْمَعُ
 وما كان مثلي يا بئينةُ يَجْزَعُ

وروى صاحب الأتاني عن الهيثم أن جيلاً طال مقامه بالشام ، ثم قدم وبلغ بئينة خبره . فراسلته مع بعض نساء الحى ، تذكر شوقها إليه ، ووجدتها به ، وواعدته لموضع يلتقيان فيه ، فصار إليها ، وحادثها طويلاً ، وأخبرها بحاله بعدها .

قال : وقد كان أهلها رصدوها ، فلما فقدوها تبمها أبوها وأخوها حتى هجا عليها ، فوثب جميل فسل سيفه وشدت عليهما ، فاتقيا بالهرب . وناشدته بئينة بالانصراف وقالت : إن أقت فضحتنى ، ولعل الحى أن يلحقوك ، فأبى وقال : أنا مقيم ، وامضى أنت وليصدموا ما أحبوا . فلم تزل تناشده حتى انصرف . وقد هجرته مدةً طويلةً ولم تلقه ، فقال هذه الأبيات الستة :

بمختلف الأرواح يَن سُوَيْقَةً^(٢) وأحْدَبَ^(٣) كادت بعد عهدك تَخْلُقُ^(٤)
 أضرت بها النكباء^(٥) كل عَشِيَّةٍ وتَفْحُ الصِّبَا^(٦) والوايل^(٧) المتبعق^(٨)
 وقفت بها حتى تَحَلَّتْ عَمَائِي^(٩) ومل الوقوف الأرحب^(١٠) المنوق^(١١)

(١) لا يخفى أن جيلاً ينسب ببئينة . وإنما ذكرها باسم ليلي جرياً على عادة الشعراء في إخفاء أسماء معشوقاتهم أحياناً .

(٢) سويقة وأحْدَب : موضحان . (٣) تخلق : تبلى ، يقال خلق الثوب وأخلق .

(٤) النكباء : كل ريح تهب بين مهب ريحين لأنها نكبت عن مهبها أى : عدلت .

(٥) فح الصبا : النسيم العليل . (٦) الوايل : المطر العظيم . (٧) المتبعق : المطر العظيم .

(٨) عمائى : بفتح العين من العماية ، هى من عمى القلب . (٩) الأرحب : الجبل النجيب منسوب

إلى أرحب وهى قبيلة ، وقيل لفل ، وقيل موضع . (١٠) المنوق : المذلل كالناقة .

وقال خليلي : إنَّ ذا لصَبَابَةٌ ألا تَجرُّ القلبَ اللجوجَ فيلحق
تَعَزَّ وإن كانت عليك كريمةٌ لعلَّكَ من أسباب^(١) بثنة تُعْتَقُ
فقلت له : إنَّ البُعَادَ يشوقني وبعضُ بعادِ البين والنأيِ أشوقُ

كثير عزة

من « بلاغات النساء »^(٢) ماحدثني الزبير بن بكار، قال : حدثني سليمان بن عباس السَّعْدِيُّ قال : كان كثير بن عبد الرحمن يلقى من يحج من قريش في كل سنة بهدية ، فنقل سنة عنهم ، حتى أصبح يوماً فركب من منزله بكلبة جملاً ، واستقبل الشمس في يوم صائف ، فلم يأت قديداً حتَّى احترق وضجر وجاء وقد راح الناس ، إلا فتى من قريش تخلف ومعه راحلة له ، على أن يلحق بهم .

قال الفتى القرشي : فإني لجالس إذ أقبل كثير فجلس إلى جنبي ولم يُسلم . ثم جاءت امرأة جميلة وسيمة ، فاستندت إلى خيمة من خيام قديد ؛ ثم قالت له : أنت كثير بن أبي جمعة ؟ قال : نعم . قالت أنت الذي تقول :

و كنت إذا ماجئت أجلن مجلسي وأعرض عني هيةً لا تبهما

قال : نعم . فتأملت وجهه مبتسمة وقالت : أعلى مثل هذا الوجه هية ؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

فقال لها : كثير : من أنت ؟ واحتدت عليها وهي ساكتة . ثم قال لها : لو أعلم من أنت لقطعتك وقطعت قومك هجاء . فلما سكن ، قالت له : أنت الذي تقول :

متى تنشروا عني الهامة تبصروا جميل المحيا أغفلته الدَّواهن ؟

أنت جميل المحيا ؟ ! إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

(١) وقوله : لعلَّكَ من أسباب بثنة . روى بدله : لعلَّكَ من رق لبثنة . . .

(٢) في إرشاد الأديب ص ١٣٧ .

فضجّر كثير ، وسكتت عنه حتى سكن . ثم قالت : أنت الذى يقول :
 يروق العيون الناظرات كأنه هِرْقَلِيٌّ وزنِ أحرّ التَّبرِ وازِنُ
 أهذا الوجه يروق العيون ؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .
 فازداد ضجراً وقال : قد أعلم من أنت ، ولأقطعنك وقومك ، وقام . فالتفت فإذا هى قد ذهبت .
 قال القرشى : فلما كان منصرفي من قديد ، سألت مولاة هناك عن تلك المرأة وقلت لها :
 لك علىّ إن أخبرتنى من هى أن أطوى لك ثوبيّ هذين إذا قضيت إحرامى وآتيك بهما -
 فأدفعهما إليك . قالت : والله لو أعطيتني وزنهما ذهباً ما أخبرتك من هى . هذا كثير -
 وهو مولاي - قد آيت أن أخبره من هى .
 قال القرشى : فرحت وبى أشدّ مما بكثير .

عمر بن أبي ربيعة

كان عمر بن أبي ربيعة^(١) معروفاً بشغفه حباً فى النساء ، وعشقاً للحاسنهن ، والتشبيب
 بمن يهواها ، وهذه أبيات له :

فلمّا تقضى الليلُ إلّا أقلّه	وكادت توالى نجيحه تتنوّرُ
أشارت بأن الحى قد حلّ منهم	هبوب ولسكن موعد لك عزّورُ
فلما رأت من قد تنبه منهم	وأبناظهم قالت : أير كيف تأمرُ ؟
فقلت : أباديهم فإمّا أفوتهم	وإمّا ينال السيف ثأرا فيثأرُ
فقلت : أتحميقاً لا قال كاشحُ	علينا ، وتصديقا لا كان يؤثرُ
فإن كان مالا بدّ منه فخيرهُ	من الأمر أدنى للاخفاء وأسترُ
أقصّ على أختي بدء حديثنا	ومالى من أن تملأ متأخرُ

(١) فى خزانه الأدب ج ٣ .

لَمَّا هُما أَنْ تَبْنِيا لَكَ مَخْرَجًا وَأَنْ تَرْجَبَا صَدْرًا بِمَا كُنْتَ أَحْصَرُ
فَقَالَتْ لِأَخْتِهَا : أَعِينَا عَلَى فِتْي أَتَى زَائِرًا وَالْأَمْرَ لِلْأَمْرِ يُقَدَّرُ
فَأَقْبَلْتَا ، فَارْتَاعَتَا . . ثُمَّ قَالَتَا : أَقْلَى عَلَيْكَ اللَّوْمُ فَالْخَطْبُ أَيْسَرُ
يَقُومُ فَيَمْشِي بَيْنَنَا مَتَنَكِرًا فَلَا سِرٌّ نَا يَفْشُو . وَلَا هُوَ يُبْصَرُ
فَسَكَانَ مَجَنِّي دُونَ مَنْ كُنْتَ أَتَقَى ثَلَاثُ شَخْصٍ : كَاعْبَانُ وَمَعَصَرُ

من شعر أمية بن الصلت في الغزل

قال أمية بن أبي الصلت من قصيدة له من « الطويل » :

أَلَا حَيًّا لَيْلَى أَجَدَّ رَحِيلَى وَأَذْنُ أَصْحَابِي غَدًا يَقُولِ
تَبَدَّتْ لَهُ لَيْلَى لِيَذْهَبَ عَقْلُهُ وَشَاقَتْكَ أُمُّ الصَّلْتِ بَعْدَ ذُحُولِ
أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا وَكَأَنَّمَا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلِ
إِذَا ذُكِرْتَ لَيْلَى تَفَشَّتْكَ عَبْرَةٌ تَمِلُ بِهَا الْعَيْنَانِ بَعْدَ نُهُولِ
وَكَمْ مِنْ خَلِيلٍ قَالَ لِي : هَلْ سَأَلْتَهَا ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ ، لَيْلَى أَضَلُّ خَلِيلِ
وَأَبْعَدُ لَيْلَى ، وَأَوْشَكُهُ قَلِي وَإِنْ سَأَلْتُ عُرْفًا فَشَرُّ مَسْئُولِ
لَقَدْ كَذَبَ الْوَاشُونَ مَا بُخْتُ عَنْدهُمْ بَلِيلِي ، وَلَا أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولِ
فَإِنْ حَاوَلَ الْوَاشُونَ عَنِّي بِكَذِبَةٍ فَرَوْهَا ، وَلَمْ يَأْتُوا لَهَا بِمُحِيلِ
فَلَا تَعْجَلِي يَا لَيْلَى أَنْ تَنْفَهَمِي بِنُصْحِ أَتَى الْوَاشُونَ أَمْ بِحُبُولِ
فَإِنْ تَبَذَلِي لِي مِنْكَ يَوْمًا مَوْدَّةً فَقَدِمًا تَخَذْتُ الْفَرْضَ عِنْدَ بَذُولِ
وَإِنْ تَبَخَّلِي يَا لَيْلَى عَنِّي فَإِنِّي تَوَكَّلْنِي تَقْسِي بِكُلِّ بَخِيلِ
وَلَسْتُ بِرَاضٍ مِنْ خَلِيلِي بِنَائِلِ قَلِيلِ ، وَلَا أَرْضَى لَهُ بِقَلِيلِ

وليس خليلي بالسلول ، ولا الذي
ولكن خليلي من يديمُ وصالَه
ولم أرَ من كَيْلَى نوالاً أعدَه
يلومك في كَيْلَى وعقلك عندها
يقولون : ودّع عنك كَيْلَى ولآتهم
فما انتفعت نفسي بما أمروا به
وقالوا : نأت فاختَر من الصبر والبكا
توليت عزونا وقلت لصاحبي :
لقد أكثر الواشون فينا وفيكم
وما زلتُ من كَيْلَى لدُن طرّ شاربي
إِذَا غَبْتُ عَنْهُ بِاعْنِي -
ويحفظُ سرِّي عند كلِّ
أَلَا رَبِّمَا طَالِبَتْ غَيْرَ
رجالٍ ، ولم تذهبْ لهم
بقاطمة الأقران ذاتِ خا
ولا عُجْتُ مِنْ أقوالهم
فقلت : البكا أشقى إذن
أَقَاتِلَتِي كَيْلَى بنير قَتِيل
ومالَ بنا الواشون كلَّ
إلى اليوم كالمَقْصَى بسكلِّ

حب امرئ القيس

من بين جبال اليمن السعيدة وقد اشتهرت بمخصب أرضها - جبل يقال له :
وهو جبل معروف يعلو سفحه نبات أخضر يسمى « العرمض » ويعلو الماء فيه ،
يقال له « طامي » ويقال له أيضاً : ثور الماء ، لتفجر ثورانه من بين صخور وأ-
وقد ذكر البكري أن ركبا من اليمن خرجوا يريدون رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأصابهم ظمأ شديد كاد يقطع أعناقهم ، فلما أتوا « ضارجا » وهو ذلك
ينبع عليه الظل وارفأ جيلا من نبات العرمض ، بخضرته البانعة ورائحته الطيبة
أحدهم قول امرئ القيس :

ولما رأت أن الشريعة همها وأن البياض من قرائضها د
تيممت العين^(١) التي عند « ضارج » ينبع عليه الظل عرمتها طامي
وإنه خير عجيب - سقناه - على أثر من آثار الطبيعة التي أبدع الله صنعها .

(١) إشارة إلى الماء .

(٢) الطامير : المرتفع الذي يعلو نباته الماء .

ذو الرمة ومية

اشتهر ذو الرمة بحب خرقاء ، ولُقِّبَتْ : مِية . ومما يؤثر عنه أنه يخاطب نفسه -
في قصيدة طويلة كلها غزل ونسيب فيقول :

إذا قلت ودّع وصل خرقاء واجتنب زيارتها تخلقُ حبال الوسائل
وأهله ودّ فد تبرّيتُ ودّهم وأبليتُهم في الحمد جَهدي ونائلي

توبة ويلي الأخيلية

أخبرنا أبو الحسن علي بن سليمان ، وأبو إسحاق الزجاج ، عن أبي العباس محمد
ابن يزيد البرّد . قال ثبتت الروايات والأخبار أن « ليلي الأخيلية »^(١) لم تكن امرأة
توبة بن الحخير ولا أخته ، ولا كان بينهما نسب شاك ، إلا أنهما كانا
جميعاً من بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وكان يحبها وتحبّه ،
فأقاما على حبّ عفيفٍ دهرًا ، وتلك هي السُّنةُ في عشاق بني عذرة وغيرهم ، إلى أن قتل
توبة . وكان سبب قتله أنه كان يطلبه بنو عوف - فأحسوا قدومه من سفره ، فأتوه طروقًا ،
وبيّنه وبين الحى مسيرة ليلة ، ومعه أخوه « عبد الله ، ومولاه قابض » فهربا وأسلماه ،
ففي ذلك تقول « ليلي » :

دعا قابضًا والرهفات تنوشه فقبّحت مدعوا ، ولبيّت داعيًا
فياليت عبد الله حلّ مكانه فأودى ، ولم أسمع لتوبة ناعيًا
ومن جيد ما أثريه به قولها :

فأقسمت ، أبكى بعد توبة هالكًا وأحفل من دارت عليه الدوائر
لعمرك ما بالموت عارٌ على الفتى إذا لم تصبه في الحياة المنابرُ
فلا الحى مما يحدث الدهر سالمٌ ولا الليت إن لم يصبر الحى ناسرُ

(١) في أمالي أبي القاسم الزجاجي ص ٥٠ .

وكلُّ شبابٍ أو جديدٍ إلى بلى وكلَّ امرئٍ يوماً إلى الله صائرُ
فلا يُبعدنكَ اللهُ توبةَ هالكٍ أيا الحربِ إذ دارت عليه الدوائرُ
واقسمت لا أتقُّ أبكيك مادعتُ على غصن ورقاه أو طار طائرُ
قتيلُ بني عوفٍ فيالهفتا له وما كنت إياهم عليه أحذرُ

قال أبو القاسم رحمه الله : قولها : « أقسمت أبكى بعد توبة هالكاً » أى : لا أبكى بعد توبة هالكاً . والعرب تضرع « لا » فى القسم مع المعنى - لأنَّ الفرق بينهُ وبين الموجب قد وقع بلزوم الموجب اللام والنون - كقولك والله لأخرجن ، وقال الله عز وجل : « قاله تفتأ تذكر يوسف » أى : لا تفتأ تذكر يوسف . وقولها : « ولا الميت إن لم يصبر الحى ناصر » يقال : نشر الله الموتى فنشروا - أى . أحيام فحيوا .

قال الشاعر :

لو أسندت ميتاً إلى نحرها عاش ولم يتقل إلى القابر
حتى يقول الناس ممّا رأوا يا عجباً للميت الناصر

ومن أغرب ما روى فى (الصدى) ما رواه أبو على من أن ليلي الأخيلية مرت مع زوجها فى بعض نجمعهم بالوضع الذى فيه قبر توبة ، وكانت متزوجة فى بنى الألكح بن عبادة ابن عقيل . فقال لها زوجها : لا بد أن أعرج بك إلى قبر توبة كي تسلمى عليه حتى أرى هل يجيب صداه كما زعم - حيث يقول :

ولو أن ليلي الأخيلية سلّمت على ، ودونى جندل وصفايح
لسلّمت تسليم البشاشة . . أو زقا إليها صدى من جانب القبر صائح

ف قالت له : وما تريد من رمة وأحجار ؟ ! فقال : لا بدّ من ذلك ، فعدل بها عن الطريق إلى القبر ، وذلك فى يوم قاتظ ، فلما دنت راحلتها من القبر ورفعت صوتها بالسلام عليه ، إذا بطائر قد استظلّ بمحجارة القبر من فيح الهاجرة ، فطار ، فنفرت راحلتها ووقعت ، فماتت !

وفي هذا الخبر ما يحقق ويصدق أن : البلاء موكلٌ بالنطق . كما يروى أن أحد المولعين
بالخمر قال :

إِذَا مِتُّ فَأَدِفْنِي إِلَى جَنْبِ كَرْمَةٍ تَرْوِي عِظَامِي فِي الْمَاتِ عَرُوقَهَا
وَلَا تَدْفِنُونِي فِي الْفَلَاةِ فَإِنِّي أَخَافُ إِذَا مَاتَ إِلَّا أَذُوقَهَا
وبعد حين من ذلك ، مات ذلك المولع بالخمر ، وزار قبره ذاكرة له فإذا هو عليه عريش ،
فتمعجب من ذلك !

عبيد الله بن طاهر وجاريتته

أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج - قال : أخبرنا أبو العباس البرّاد قال :
دخلت على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر - وقد فصد فظننت أن ذلك لعملة ، فأكثرته له من
الدعاء . فقال : خفف عليك أبا العباس ، فليس ذلك لعملة ، وانظر ماتحت البساط ، فنظرت فإذا
رقعة فيها :

حَلَفَ الظَّرِيفُ بِقَطْعِهِ يَدَهُ إِنْ مَسَّ مِنْ يَهُوَاهُ بِالْأَلَمِ
حَتَّى إِذَا ضَاقَ الْفَضَاءُ بِهِ جَعَلَ الْفَصَادَ تَحِيَّةَ الْقَسَمِ
قلت : حسن أيها الأمير . فأسيبه ؟ قال مددت البارحة يدي إلى إحدى الجوارى بالضرب
فألّمت لما نالها من الألم ، فخلعت بقطع يدي ، فأقنيت بالفصد ، ففعلت . وأنشدنا الأَخْشَسُ
لأبي نواس :

مَا بَالُ قَلْبِكَ لَا يَقْرُءُ حُقُوقًا وَأَرَاكَ تَرَعَى النِّجْمَ وَالْعِثُوقًا
وَجَفُونَ عَيْنِكَ قَدْ ثَرَنَ مِنَ الْبُكَاءِ فَوْقَ الْمَدَامِ لَوْلَا وَعَقِيقًا
لَوْ لَمْ يَكُنْ إِنْسَانُ عَيْنِكَ سَابِحًا فِي بَحْرِ دَمْعِهِ لَمَاتَ غَرِيقًا

بحر هوى ليس له شطّ

أخبرنا أبو بكر محمد بن دُرَيْد قال : أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعي قال :
دخل بعض الشعراء على يحيى بن خالد البرمكي ، وبين يديه جارية يقال لها : خلساء ،
وكانت شاعرة ظريفة ، فقال له : اعبت بها فأنشأ يقول :

خلساء خلساء وحتى متى يرتفع الناس وتنحط
قد صرت نضوا فوق فرش الهوى كأنني من دقتي خيط
فقلت خلساء :

وكيف منجأى وقد حلّ بي بحر هوى ليس له شطّ
بدرُكك الوصل فتنبؤ به أوقع المجر فتخطّ

حب زينب بنت إسحاق النصراني

من فوائد الرّضى الشّاطبيّ المذكور ، ما ذكره أبو حيان في الحبّ قال : وهو من
غريب ما أنشدنا الإمام الأنويسيّ رضي الله عنهما أبو عبد الله محمد بن عليّ بن يوسف الأنصاري الشاطبي
لزينب بنت إسحاق النصرانيّ :

عديّ وتيمّ لا أحاولُ ذكرهم بسوء ولكنّي حبّ لها قسم
وما يه تريني في عليّ ورهطه إذا ذكروا في الله لومة لائم
يقولون : ما بال أنصاريّ تحبهم وأهل النّهي من أعرب وأطجم
فقلت لهم : إنّي لأحسبُ حبهم سرى في قلوب الخلق حتى البهائم

التائب من الحب

قال الحجازي^(١) : قال عبد الوارث : كان فيمن يقرأ على مملوك ملبح الوجه ، رضى الخلق ، حاد الذكاء . فَخَلَوْتُ به يوماً ، وداعبته ببارات تُنْشِي عن شدة شغفي به ، فقال لي : حذار أن تعود لمثل هذا الكلام ، فللجُذران آذانٌ ، ورب عثرة لسانٍ ، أودت بإنسانٍ . . . ولكن إذا لم تستطع الكتمان ، فاكتب لي ما تحب أن تقوله في ورقة فتكون في أمانٍ واطمئنان .

قال : فلما سمعت ذلك منه تمكّن الطمع مني ، وكتبت في ورقة :
يا مَنْ لَهُ حُسْنٌ يَفُوقُ به الْوَرَى صِلْ هائِماً قد ظلّ فيك مُحَيَّرًا
وامْنُنْ على بَسَاعَةٍ في خَلْوَةٍ إن كنتَ تطمَعُ في الهوى أن تُؤَجَّرَا
وكتبت تحت البيتين كلاماً كثيراً في هذا المعنى ، ثم دفعت إليه الورقة خلسة .
فلما حصلت الورقة عنده - كتب إلي في غيرها : إنك كَتَمَ أَنْتَ من بيت عريق في التَّقْوَى . وسأبقى عندى خَطَك شاهداً على ما فرطَ منك ، وَلَئِنْ لَمْ تَنْتَه لَأُطْلِعَنَّ عليها أبى وغيره . فتصيبك فضيحة الأبد .
أما إن انتهيت فلن أخبر بها أحداً أبداً .
فلما وقفت على خطه ، علمتُ قدر ما وقعتُ فيه ، وجعلتُ أرغبُ إليه في أن يرُدَّ الرُّقعة إليّ ، فأبى وقال :

هى عندى رهن على وفائك بألا ترجع إلى التَّكَلُّم في ذلك الشأن .
ولم يسعنى إلا أن امتثلت ، لأنى رأيت صيانتى وناموسى في يده ، وثبت عن مثل هذه المداعبات .

(١) في نفح الطيب ج ٢ ص ٩٥٢ .

الحب والجمال

حب امتداح النساء

كان أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي - من الشعراء المطبوعين على حب امتداح من يراه من النساء ، عن براءة في القصد ، فتحمل في طياتها روحاً لا تؤمن إلا بالواقع ، مهما يكلفه ما قصد إليه ، دون أن يقيم لذلك وزناً في استجلاب مرضاة أحد ، ومهما يعترضه من خصوم أو لاأئمن ، فمن وسائله فلائده :

مضت الشبية والحبيبة فالتقى
دمعان في الأضغان يزدهن
ما أنصفتني الحادثات رميني
بمودعين ، وليس لي قلبان

وقوله من أخرى :

قلت للمين حين شامت جمالا
من بروق كواذب الإيماض
لا يفرئك هذه الأوجه الغر
فيارب حية في رياض

وقوله من أخرى أيضاً :

خليلى عهدي بالليالي صوافيا
فأبداً أبذلن جيا بصادها ؟
ولا تحسباً عيشي على فأننى
أورخ يوم الموت يوم اقتادها
ولست أحب الضوء إلا لوجهها
ولا البدر إلا طالما من بلادها
ولو أننى أنصفتها ورعيتها
لسار قوادى في طريق فؤادها
خليلى هل أبصرتما مثل أدعنى
نفدت وحق الله قبل تقادها

وقال بعض الحكماء : ما أنس الإنسان ، ولا عمر المكان ، ولا سلى الأحران ،
ولا أعان على الزمان ، مثل البيض الموان .

وفي كتاب مُسْلِمٍ ، أن رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - قال : « الدنيا متاع ، وخيرُ متاعِ الدنيا المرأةُ الصَّالِحَةُ » .

وفي كتاب « الأربعين » للثقفى عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال : سئل النبي - صَلَّى الله عليه وسلم : أىُّ النساءِ خيرٌ ؟ فقال : التى تسره إذا نظر ، ولا تعصيه إذا أمر ، ولا تخالفه فيما يكره من نفسها ، ولا ماله .

وفي « الشهاب » : « النَّظَرُ إِلَى الْمَرْأَةِ الْحَسَنَاءِ يَزِيدُ فِي الْبَصَرِ » والله درُّ أبي نواس إذ يقول :

يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حُسْنًا إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظَرًا

وقال شاعر آخر :

وَيَقْبَحُ مِنْ سِوَاكَ الْفِعْلُ عِنْدِي فَتَفْعَلُهُ فَيَحْسُنُ مِنْكَ ذَاكَ

وقال غيره :

وَإِذَا الْحَبِيبُ أَتَى بِذَنْبٍ وَاحِدٍ جَاءَتْ مُحَاسِنُهُ بِأَلْفِ شَفِيعٍ

أعرابي يصف امرأة

قال العُتْبِيُّ^(١) : سمعتُ أعرابياً يصف امرأة فقال : بيضاء جعدة ، لا يمسُّ الثوبُ منها إلا مُشَاشَةً كَتِفَيْهَا ، وحلَمَةٌ تَدِينُهَا ، ورضنٌ رَكْبَتَيْهَا ، وجَانِبِي الْيَتِيَّهَا ، وأنشد :

أَبَتْ الرِّوَادِفُ وَالْثُدَى لَقَمَصِهَا مَسَّ الْبُطُونِ وَأَنْ تَمَسَّ ظُهُورًا
وَإِذَا الرِّيَّاحُ مَعَ الْعَشِيِّ تَنَاوَحَتْ نَبْهَنَ حَاسِدَةً ، وَهَجَنَ غَيُورًا

وقال آخرُ : لَيْتَ فَلَانَةٌ حَظَّتْ مِنْ أَمَلِي ، وَلَرُبَّ يَوْمٍ سَرَّتْهُ إِلَيْهَا حَتَّى قَبَضَ اللَّيْلُ
بَصْرِي دُونَهَا ، وَإِنْ مِنْ كَلَامِ النِّسَاءِ مَا يَقُومُ مَقَامَ الْمَاءِ فَيَشْفِي الظَّمَاءَ .

(١) في العقد الفريد ج ٢ ص ١١٥ .

وذكر أعرابي امرأة فقال : تلك شمسُ باهتِ بها الأرضُ شمسُ سَمَائِهَا ، وليس لي شفيعٌ في اقتضائها ، وإن نسي لكتومٌ لِدَائِهَا ، ولكنها تفيض عند امتلائها . أخذ هذا المعنى حبيب فقال :

ويا شمسُ أرضِها التي تم نورُها فباهتِ بها الأرضون شمسَ سَمَائِهَا
شكوتُ وما الشكوى لمِثْلِي عادةً ولكن تفيضُ النفسُ عند امتلائِهَا

وقيل لأعرابي : ما بالُ الحبِّ اليومَ على غير ما كان عليه قبل اليوم ؟ قال : نعم ، كن الحبُّ في القلب ، فانتقل إلى المعدة ، إن أطعمته شيئاً أحبها ، وإلا فلا . كان الرجلُ إذا أحب امرأة ، ظلَّ حَوْلًا يطوفُ يدارِها ويفرح إن رأى من رآها ، وإن ظفرَ منها بمجلسٍ تشاكياً وتناشداً الأشعارَ ، وإنه اليومَ يشيرُ إليها وتشيرُ إليه ، ويمدُّها وتمدُّه ، فإذا اجتمعا لم يشكوا حباً ولم ينشداً شعراً .

وقال أعرابي يشكو لوعةَ الحبِّ وكنماتَه وصبرَه على من يُحبُّه ولا يطيق سُلوَانَه :

شكوتُ فقالت : كلُّ هذا تبرماً بِحُبِّي ، أراحَ الله قلبك من حُبِّي
فلما كنمتُ الحبَّ قلتُ : لشدَّ ما صبرتُ ، وما هذا بفعلِ شجى القلبِ
وأدنو فتقصيني فأبمدُ طالباً رضاها ، فتتعدُّ التباعدَ من ذنبي
فشكواي تؤذيها ، وصبري يسوءها وتجزعُ من بُعدي ، وتنفرُ من قُرْبِي
فيا قوم هل من حيلةٍ تعلمونها ؟ أشيرُوا بها ، واستَوْجِبُوا الشكرَ من رَبِّي

الوصف بعد المشاهدة (١)

اشتهر القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني بروائع الكَلِمِ في نظم الشعر ، واتخذ لنفسه طرائقَ سهلةً ، غاية في البساطة ، فكان يسمو بوصف ما أحسَّ به ، واستساغه ، ويكسوه من رقة الماني أسلوباً جميلاً يقرُّبه إلى الفهم ، حتى يتذوق أنغامه المستمعُ سراباً

(١) في خاص الخاص للشمالي .

عذبا سلسبيلا ، ويملا به المحزون صدره نسيما صافيا عليلا ، ومن بدائع طرفه قوله :

أفدى الذى قال وفى كفه مثل الذى أشرب من فيه

الورد : قد أينع فى وجنتى قلت : فمى بالثمر يجنيه

وقوله ، ولم أسمع فى التعريض بالالتحاء أحسن منه :

قد برح الحب بمشتاقك فأوله أحسن أخلاقك

لا تجفقه وارعه له حقه فإنه آخر عشاقك

وقوله فى فصد الحبيب :

يألت عيني تحملت الملك وليت نفسى تقسمت سقمك

وليت كف الطيب إذ فصدت عرقك أجرت من ناظرى دمك

أعرتة صبع وجنتيك كما تغيره إن لثمت من لثمك

طرفك أمضى من حد مبضعه فالحظ به العرق واغتيم الملك

وقوله من قصيدة أولها :

من أين للعارض السارى تلعبه وكيف طبق وجه الأرض صيبه

هل استمان جفوني فى تنجده أم استمار فؤادى فهو يلعبه

ومنها :

بجانِبِ الكرم من بغداد لي قمر لولا التجمل ما أنفك أندبه

وصاحب ما صحبت الدهر مذبعت دياره ، وأراني لست أضحبه

فى كل يوم لعمري ما يؤرقها من ذكره ولقلي ما يمدبه

وما البعاد دهاني ، بل خلاقه ولا الفراق شجاني ، بل تجنبه

وله أيضا :

وقالوا اضطرب فى الأرض فالرزق أوسع فقلت : ولكن مطلب الرزق ضيق

إذا لم يكن فى الأرض حر يعيننى ولم يك لي كسب ، فمن أين أرزق ؟

أَسْنَانُ النِّسَاءِ (١)

قال أبو الحسن الأخفش : من أحسن ما قيل في ترتيب أسنان النساء ، وإن كان شعرا ضعيفاً ، قولُ ضَمْرَةَ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ ، وقد سأله وصف النساء :

مَتَى تَلْقَ بِنْتَ « الْعَشْرِ » قَدْ نَصَّ نَدِيَهَا .	كُلُّ لَوْةٍ الْغَوَاصِ يَهْتَزُّ جِيدُهَا
تَجِدُ لَذَّةً مِنْهَا خَلْفَةَ رُوحِهَا	وَعُريَهَا ، وَالْحُسْنُ بَعْدُ يَزِيدُهَا
وَصَاحِبَةَ « الْعِشْرِينَ » : لَا شَيْءَ مِثْلُهَا	فَتِلْكَ الَّتِي تَلْهُو بِهَا وَتُرِيدُهَا
وَبِنْتُ « الثَّلَاثِينَ » : الشَّهَادَةُ حَدِيثُهَا	هِيَ الْعَيْشُ مَارَقَتْ وَلَا دَقَّ عُودُهَا
وَأِنْ تَلْقَ بِنْتَ « الْأَرْبَعِينَ » فَنَبِطَةُ	وَحَيْرُ النِّسَاءِ : أَوْدُهَا وَوَلُودُهَا
وَصَاحِبَةُ « الْخَمْسِينَ » : فِيهَا بَقِيَّةٌ	مِنَ الْحُسْنِ وَاللَّدَاتِ ، صُلْبُ عَمُودُهَا
وَصَاحِبَةُ « السَّتِينَ » لَا خَيْرَ عِنْدَهَا	وَفِيهَا ضِيَاعٌ ، لَا حَرِيصَ يُرِيدُهَا
وَصَاحِبَةُ « السَّبْعِينَ » إِنْ تُلْفِ هُرْسًا	عَلَيْهَا فَتِلْكَ خَزِيَّةٌ يَسْتَفِيدُهَا
وَذَاتُ « الثَّمَانِينَ » الَّتِي قَدْ تَجَلَّلَتْ	مِنَ الْكِبَرِ الْفَانِي وَقَدْ وَرِيدُهَا
وَصَاحِبَةُ « الثُّلُثِينَ » يَرْعَشُ رَأْسُهَا	وَبِالْأَيْلِ مِقْلَاقٌ قَلِيلٌ هُجُودُهَا
وَمَنْ طَالَعَ الْآخِرَى ، فَقَدْ ضَلَّ عَقْلُهُ	وَتَحْسِبُ أَنَّ النَّاسَ طُرًّا عَيْدُهَا

دَارَةُ يَلْعَبُ فِيهَا الْبَدْرُ (٢)

عُرف الشيخ سعيد السَّعْمَانُ الدَّمَشْقِيُّ ، بِحُبِّ الْجَمَالِ ، وَشَغَفِ بِتَصْوِيرِ مَا يَهْتَشِقُ تَصْوِيرًا حَسَّاسًا ، وَمِنْ قَوْلِهِ مَضْمُونًا مَصْرَاعَهُ الْآخِرُ :

يَارُبَّ ظَنِّي كَالِدَامِ حَدِيثُهُ	فَيُسَيِّغُهُ سَمْعِي وَعَقْلِي يَطْرُبُ
قَدْ خَلَّتْهُ شَمْسُ النَّهَارِ بِكَفِّهِ	مَرَاةٌ حُسْنُ لَوْنِهَا يَتَذَهَّبُ
وَالْوَجْهُ فِيهَا لَا مَحْ فَكَأَنَّهَا	هِيَ دَارَةُ وَالْبَدْرِ فِيهَا يَلْعَبُ

(١) في أمالي أبي القاسم الزجاجي (٢) في سلك الدرر ج ١ ص ٢٠٨ .

وقال العالم أحمد التتيني ، مضمناً نفس الصراع :

عائنته وكأنه من لطفه راح تكاد لها اللواحظ تشرب
بالقل والشطرنج يلعب وهو في فسطاط حُسن للسرة يجلب
يحكي الزمرد خضرة فكأنما هي دارة والبدر فيها يلعب

المرأة والطيب (١)

يَحْمِلْنَ أَرْجَةَ نَضْحُ الْعَبِيرِ بِهَا كَأَنَّ تَطْيَابَهَا فِي الْأَنْفِ مَشْمُومٌ
الْأَرْجَةُ هُنَا : كناية عن المرأة شبهها بها في طيب رائحتها ، وما في لونها من الصفرة
وكانت العرب تكره بياض اللون المفرط ، ولذلك كانوا يعيرون قول الأعشى :
ومن كل بيضاء رُعبوبة لها بشر ناصع كاللبن
وكانوا يستحسنون قول ذي الرمة :
صفراء في نَمَجٍ بَيضاء في دَعَجٍ كأنها فضة قد مسها ذهب

تتف الوجه بالخيوط (٢)

قال النازم : لما استقر بنا المقام ، بين إقدام وإحجام ، ودفننا الحنين إلى ما يُحَمَّدُ
عقباه ، قرأنا على أبي بكر بن دُرَيْدٍ رحمه الله :

فلما مضى شهرٌ وعشرٌ لِمِيرَهَا وقالو : يحيى الآن قد حَانَ حينها
أمرت من الكتان خيوطاً وأرسلت جرياً إلى أخرى قريباً تُعِينُهَا
هذه امرأة تنتظر عيراً قدّم زوجها فيها ، فأرادت أن تتف وجهها بالخيوط وتهيأ له .
والجري : الرسول . يقول : أرسلته إلى جارة لها تستعين بها في تتف وجهها بالخيوط للتزين .
وبعد هذا سار مسترسلاً معبراً عن الخيط بالسلك ، لأنه أقرب إلى المعنى ، وأسلس في البنى ،

(١) في الاقنصاب ص ٣٨٢

(٢) في أمالي القالي ج ١ ص ١٩٨ .

فقال :

فأزال يَجْرِي السَّلْكُ في حَرٍّ وَجْهَهَا وَجْهَيْهَا حَتَّى ثَنَّتْهُ قُرُونُهَا
ثَنَّتْهُ : كَفَّتْهُ . وقُرُونُهَا : ذَوَائِبُهَا . ومنه قول مجنون لَيْلَى لزوجها :
بِرَبِّكَ هَلْ ضَمَمْتَ إِلَيْكَ لَيْلَى قُبَيْلَ الصُّبْحِ أَوْ قَبْلَتْ فَأَهَا ؟
وَهَلْ رَفَّتْ عَلَيْكَ قُرُونُ لَيْلَى رَفِيفَ الْأَقْحَوَانَةِ فِي شَذَاهَا

تشبيه المرأة ببدر السماء

بَدَتْ لَيْسُ كَأَنَّهَا بَدَرُ السَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّى
قوله : كأنها بدر السماء ، في موضع الحال للمرأة أى : بَدَتْ مشبهة البدر ، وإذا تبدَّى
ظرفٌ لما دلَّ عليه كَأَنَّ مِنْ مَعْنَى الْفِعْلِ . أى : بَرَزَتْ هذه المرأةُ كاشفةً عن وَجْهِهَا ،
كأنها قد أُرْسِلَتْ تَقَابَهَا . ودَلَّ على هذا بقوله : كأنها بدرُ السماء إذا تبدَّى . وإنما فعلت ذلك
إِمَّا لِلتَّشْبِيهِ بِالْإِمَاءِ حَتَّى تَأْمَنَ السَّيَاءُ ، أو لما تَدَاخَلَهَا مِنَ الرَّعْبِ . ومثله قول الشاعر :
وَنِسْوَتُكُمْ فِي الرَّوْعِ بَادٍ وَجُوهُهَا يُخْلَنَ إِمَاءُ ، وَالْإِمَاءُ حَرَارُ

لقاء فتى جميل الوجه في الجنة

ذكر المبرِّد عن أبي كامل ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن رجاء بن عمرو النخعي قال :
كان بالكوفة فتى جميل الوجه ، شديد التعبّد والاجتهاد . فنزل في جوار قوم من النخع ،
فنظر إلى جارية منهم جميلة ، فهويها وهام بها عقله . ونزل بالجارية ما نزل به ، فأرسل يخطبها
من أبيها ، فأخبره أبوها أنها مسماة لابن عم لها . فلما اشتدَّ عليهما ما يقاسيانه من ألم الهوى ،
أرسلت إليه الجارية ، قد بلغت شدة محبتك لي ، وقد اشتدَّ بلائي بك ، فإن شئت زرتك ،
وإن شئت سهلتُ لك أن تأتي إلى منزلي . فقال للرسول : ولا واحدة من هاتين الخليتين
« إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم » أخاف نارا لا يخبو سعيها ، ولا يحمده لبيها .

فلما أبلغها الرسول قوله ، قالت : وأراه مع هذا يخاف الله . والله ما أحد أحق بهذا من أحد ، وإن العباد فيه لمشتركون . ثم انخلت من الدنيا ، وألقت علائقها خلف ظهرها ، وجعلت تتعبد . وهي مع ذلك تذب وتتحل حباً للفتى وشوقاً إليه حتى ماتت من ذلك . فكان الفتى يأتي قبرها فيسكى عنده ، ويدعو لها . فقلبت عينه ذات يوم على قبرها ، فرآها في منامه في أحسن منظر . فقال لها : كيف أنت وما لقيت ؟ قالت :

نعم المحبة يا سؤلى محبتكم حب يقود إلى خير وإحسان

فقال : على ذلك إلام صرت ؟ فقالت :

إلى نعيم وعيش لا زوال له في جنة الخلد ملك ليس بالفانى

فقال لها : اذكرينى هناك ، فأنتى لست أنساك . فقالت : ولا أنا والله أنساك ، ولقد سألت مولاي ومولاك أن يجمع بيننا ، فأعنى على ذلك بالاجتهاد . فقال لها : متى أراك ؟ فقالت : ستأتينا عن قريب فترانا . فلم يعيش الفتى بعد الرؤيا إلا سبع ليال حتى مات ، رحمه الله . وذكر الزبير بن بكار ، أن عبد الرحمن بن أبي عمار نزل مكة ، وكان من عباد أهلها ، فسَمَّى النفس من عبادته . فمر يوماً بجارية تغنى ، فوقف فسمع غناءها فرآه مولاه . فأمر أن يدخل عليها فأبى . فقال له : فأقعد في مكان تسمع غناءها ولا تراها . ففعل فأعجبته . فقال له مولاه : هل لك أن أحوطها إليك ؟ فامتنع بعض الامتناع ، ثم أجابه إلى ذلك . فنظر إليها فأعجبته ، فشغف بها وشغفت به .

وعلم بذلك أهل مكة . فقالت له ذات يوم : أنا والله أحبك ، فقال : وأنا والله أحب ذلك . قالت : فما يمنعك ؟ فإن الموضع خال ! قال لها : ويحك ، إني سمعت الله يقول : « الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين » . فأنا والله أكره أن يكون صلة ما بيني وبينك في الدنيا عداوة يوم القيامة . ثم نهض وعيناه تذرفان بالدموع من حبها !

تكنى المرأة بالشاة أو البيضة (١)

خرج الرشيدُ في بعض أسفاره . فأخرج معه أخته عاكية ، وكان قد بلغه أنها تعجب بسلام له اسمه « رشا » فأبغده ، وقيل قتله . ثم إنها علقت من بعده غلاماً آخر اسمه « ظل » فكانت تنكر من ذكرها له . فقال لها الرشيد : والله لئن ذكرتِه لأقتلَنَّكَ ، فدخل عليها يوماً على حين غفلة وهي تقرأ قوله تعالى : « فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَظَلٌّ » . فلما شعرت به قرأت أول الآية « فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ » ثم أمسكت حتى لا تذكر اسم (ظل) وأكملت قائلة : « فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ . . . فإني نهى عنه أمير المؤمنين . فابتسم الرشيدُ وقال لها : « ولا هذا أيضاً يا أختي » .

وقيل إنه أخرج ذلك السلام من قصره ، فطار قلبها حزناً لفراقه ، وقالت :
أَيَا مَرْحَةَ الْبُسْتَانِ طَالَ تَشَوُّقِي فَهَلْ لِي إِلَى ظِلِّ إِلَيْكَ سَبِيلُ ؟
مَتَى يَشْتَفِي مِنْ لَيْسَ يُرْجَى خُرُوجُهُ وَلَيْسَ لَعْنُ يَهْوَى إِلَيْهِ دُخُولُ
فانظر كيف ورّت « يَظِلُّ عَنْ طَلِّ » بعد أن قدمت ذكر السّرحة - وهي الشجرة -
لتمكن من لفظة ظلّ فتبعده التّهمة . وكثيراً ما تذكر العرب لفظة السّرحة أو الشاة أو
البيضة أو القلوص ، وهي الشابة من الإبل ، وتكنى بذلك عن المرأة .

وكانت أم حكيم من أجمل نساء وقتها ومن أشجع الناس وأحسنهم بديهة ، خطبها
جماعة من أشراف الخوارج فردّتهم ، وكانت مع أمير الخوارج قطريّ بن الفجاءة ، في جُند
(الأباضية) فكانت ترتجز في تلك الحروب وتقول :

أَحْمِلُ رَأْسًا قَدْ سُمْتُ حَمَلَهُ وَقَدْ مَلَأْتُ دَهْنَهُ وَغَسَلَهُ

أَلَا فَتَى بِحِمْلٍ عَنِّي ثِقَلَهُ ؟

والخوارج يَفْدُونُهَا بِالْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ ، وكان « قطريّ » يُشَبِّبُهَا . وفيها يقول
في وقعة دُولَاب ، وهو من رقيق النزل :

لَعَمْرُكَ إِنِّي فِي الْحَيَاةِ لِزَاهِدٌ
 مِنَ الْخَفِرَاتِ الْبَيْضِ لَمْ يَرِ مِثْلُهَا
 لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ الظُّمِّ وَجْهَهَا
 وَلَوْ شَهِدْتَنِي يَوْمَ دَوْلَابٍ أَبْصَرْتُ
 غَدَاةَ طَنْتِ عُلَمَاءَ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ
 فَلَمْ أَرَ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ مَقْعَصًا
 وَضَارِبَةً حَدًّا كَرِيمًا عَلَى فَتَى
 أُصِيبَ بِدَوْلَابٍ وَلَمْ تَكُ مَوْطِنًا
 فَلَوْ شَهِدْتَنِي يَوْمَ ذَاكَ وَخَيْلُنَا
 رَأَتْ فَتِيَّةً بَاعُوا إِلَهَهُ نُفُوسَهُمْ
 وَفِي الْعَمِيشِ مَا لَمْ أَلْقَ « أُمَّ حَكِيمٍ »
 شَفَاءَ لَذَى بَتٍّ وَلَا لَسْقِيمٍ
 عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ جِدُّ لَثِيمٍ
 طِمَآنَ فَتَى فِي الْحَرْبِ غَيْرَ ذَمِيمٍ
 وَعُجْظَنَا صُدُورِ الْخَيْلِ نَحْوِ تَمِيمٍ
 يَمِجُّ دَمًا مِنْ فَايِظٍ وَكَلِيمٍ
 أَفَرَّ نَجِيبِ الْأُمَمَاتِ ، كَرِيمٍ
 لَهُ أَرْضُ دَوْلَابٍ ، وَدِيرُ حَمِيمٍ
 نُبِيعُ مِنَ الْكُفَّارِ كُلِّ حَرِيمٍ
 بِجَنَّةٍ عَدْنٍ عِنْدَهُ وَتَمِيمٍ

أَسْمَاءُ النِّسَاءِ (١)

ولابن الوردي في « أسما » :

أرى أسما إذا غضبت وصدت
 وإن هي واصلتني طاب قلبي
 وفيها أيضا :
 قد لآمني في حبِّ أسما طازل
 فاعجب لمجرى مدامع أوقفها
 وفي آمنة :
 قد وعدتني بالوفا آمنة
 كيف يخاف القلب من بينها
 أكاد من الغرام أموت سقما
 كأنني بَتُّ أوقيه بأسما
 أجرى مدامع مقلتي بدما
 من فعل ذاك الحرف في أسما
 وقد غدت بالرضا آمنة
 ومهجتي أضحت بها آمنة

وفيهما أيضاً :

هيفاء كالنصن الرطيب قوامها محبتها في لجة القلب كامنه
تهددني بالمهجر في الوصل عامداً فأصبح منها خائفاً وهي آمنه
وللازهرى في أنس :

آنست بالوصل مذ جاءت به أنس يوماً وعاذها قد باء بالخرس
عن مالك قد روى نيران وجنتها لكن حديث اللقا أرويه عن أنس

وله في حليلة :

قلوا حليلة صبحت بفرط وجدى عليه
لم لا ترق لحالى في الحب وهي حليلة

وفي خديجة :

خديجة قد سبتنى بنساء خدّ وهيجه
وكانت الروح تقسو والآن روى خديجه

وفيهما أيضاً :

تمشّق في الهوى قلبي فتاة تزين البدر ذو حسن بهيجه
أموت بحبها شوقاً وأحيا إذا ناديت ياستي خديجه

وفي زيلب :

وعرض بذكرى حين تسمع زيلب وقل ليس يخلو ساعة منك آله
عساها إذا ما مرّ ذكرى بسمعها تقول فلان عندكم كيف حاله ؟

وفي سلمى :

لسلى من لواظها سهام لها في القلب فتك أى فتك
إذا رامت تشكّ به فؤادا يموت المستهام بنسیر شكّ

وفي عائشة :

أيا دهرُ خبرني بمحّك واشغني فسهام فكري في أموري طائشه
أحمل أنى في المحبة ميّت وحييتى من بعد موتى عائشه

وفيها أيضاً :

شغل القلب بقدر أهيف
أنت دعني أن أمت في حبها
تركت منه العوالي طائشة
ثم دعها بعد عيني عايشة

وفي فاطمة :

فاطمة مذ كنت طفلاً بها
كم أرضعتني وصلها بالهنا
مت جوى وهي بذات عاله
ثم اثنت لي بأنها فاطمة

وفيها أيضاً :

هيناء كالنصن لها قامة
قد أرضعت طفل الهوى مرة
عادلة مع أنها ظالة
بوصلها ثم اثنت فاطمة

وفيها أيضاً :

فانلتى قد أصبحت
ناديتها يا مهجتي
والبجر منها كاطمه
ما الإسم ؟ قالت : فاطمة

ولالأزهرى في تقيسة :

تقيسة بالبها ملكت فؤادي
وقد حلزت لفرط سنا بهاها
وأضحت في ملاحقتها رئيسة
وذات الحسن مرتبة تقيسة

ولابن الجليل في طالة :

طالة عاملة بالجفاء
قلت لها هل تعلمين الذي
قامتها عادلة ظالة
ألقاه قالت إنني عالة

وله أيضاً - فيها :

طالة لها على
وأوتيت من كل شيء
كرسيها فضل جسيم
ولها عرش عظيم

ولابن الوردى في قابلة :

أقول لقابلة أدمي
أنا رجل مقبل للقا
على جها قطع السابله
قالت وأنا امرأة قابله

وله في كاتبة :

كاتبة توقيع نسخ الجفا يصدر عن سمتها الراحة
تكنم أسرار رقاعي لها أحسن بها كاتبة كاتمة

وله في فقيهة :

تفقت في عذابي وبألفت في جدالي
خود تسيط غراي عن طرفها الغزالي

وللازهرى - في خياطة :

أحييتها كالبدر خياطة منزلها في القلب والطرف
فلى ركوب الفرج من وصلها وللقريب الشل بالكف

وله في عجانة :

كلف الفؤاد بظبية عجانة ما كنت يوماً آمناً من هجرها
عجنت فؤادي بالغرام فؤاها من أدمى ودقيقها من خصرها

وله في جبانة - أى بائمة الجبن :

بائمة جبن منذ همت بها رأى الوردى روحى بها تعبانة
وكل أهل الحى قد تحققوا بأننى أموت في الجبانة

وله في مسخرة :

عجبت في رمضان من مسخرة بديعة الحسن إلا أنها ابتدعت
جاءت تسخرنا يوماً فقلت لها كيف السحور وهذى الشمس قد طلعت

ولابن الوردى في رومية :

رومية الأصل لها مقلة تركية صارمها هندی
تفضحنى وجنتها فاعجبوا من وجنة فاضحة الوردى

وله في مصرية :

مصرية كأنها بدر فجل من خلق
تملقنى مكرأ ولا ينكر من مص الملق

وله في شامية :

شامية شامة بوجنتها
أخشى من اللامة إذا قبلتها
يرق لي في حبها الشامة
فشوم بختي ينطق الصامت
وله في بدوية :

وبي من البدو كلاء الجفون بدت
فلو بدت لحسان الحضر قن لها
في قومها كهافة بين آساد
على الرؤوس وكان الفضل للبادي
وله في عراقية :

بي هيفاء من بنات العراق
ثم قالت : أتيت من باب ابرز
أطلقت أدمى وشدت وثاق
بالمطايا رأيت باب الطاق
وله في مشرقية :

جاءت من المشرق لا مالنا
وقالت : احذر يافتي فتنة
في عينها شيء ولاجا هنا
للناس ، والفتنة من هاهنا
وله في مغربية :

يابنات الشرق حاذرن السطّا
ماظهر البدر من مشرقه
إن بليت الغرب في موكبها
كطلوع الشمس من مغربها
ولالأزهري في بحوسية :

حابتة النور سنا نورها
قد أحرقت قلبي بهجرانها
أوضح لي في الحب أعدارا
فالويل ممن يعبد النارا
وله في نصرانية :

زنارُ بليت النصارى
رجاني الشدُّ منه
فخُّ لها أي فخ
وكثرة الشدُّ ترخي
وقال آخر في مليحة تلعب بالشطرنج

لاعبتها بالشطرنج ثم ضربتها
قالت : فنفسك ، قلت : حصنتها
بالرخ شاة تسترت بالفيل
لكن خذي فرسي هناك وفيلي

الغزل ووصف النساء

الغزل والتغزل والفرق بينهما (١)

قيل لأبي السائب المخزومي : أتري أحداً لا يشتهي النسب ؟
فقال : أما من يؤمن بالله واليوم الآخر فلا !
والنَّسَبُ والتَّغَزُّلُ والتَّشْيِيبُ كلها بمعنى واحد .
قيل : الغزل هو إلفُ النساءِ والتَّخَلُّقُ بما يوافقهن ، فمن جملة بمعنى التغزل فقد أخطأ .
وقد نبه على ذلك « قدامة » وأوضحه في كتابه « نقد الشعر » .
وقال الحاتمي : من حكم النسب الذي يفتح به الشاعر كلامه ، أن يكون ممزوجاً
بما بعده من مدح أو ذم ، متصل به غير منفصل منه ؛ فإن القصيدة مثلها مثل خلق الإنسان
في اتصال بعض أعضائه ببعض ، فتى انفصل واحد من الآخر وباينه في صحة التركيب ،
غادر بالجسم طاهةً تنخوّن محاسنه وتغنى معالم جماله .

يا ليل الصب متى غده (٢) ؟

من نواذر الطرائف ما ذكره « ابن بشكوال » في كتاب الصلة . كما ذكره الحميدى أيضاً .
وهو : كل أبو الحسن ، على الحصري القيرواني ، ابن خلة أبي إسحاق صاحب « زهر الآداب »
حافظاً فاقها ، وأديباً عالماً بالقراءات وطرقها .
وقد أقرأ الناس القرآن الكريم في « سبئة » وغيرها ، وله قصيدة نظمها في قراءات
نافع عدد أبياتها مائتان وتسعة ، وله ديوان شعر . ومن قصائده السائرة القصيدة المشهورة
التي أولها :

(١) في العمدة : لابن رشيقي ج ٢ ص ٩٤ (٢) في وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٤٣٢

يَالَيْلَ الصَّبِّ مَتَى غَدُهُ أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ
وقد وازنها صاحبنا الفقيه نجم الدين موسى بن عبد الكنانى أبو الفضائل المعروف
بالقمرأوى رحمه الله بأبيات من جملتها :

قد ملَّ مريضك عودُهُ	ورثي لأسيرك حسدُهُ
لم يُبقَ جفاك سوى نفيس	زفوات الشوق تصدُّهُ
هاروت يُنمِّنُ في السَّحْه	رِ إلى عَيْنَيْكَ وَيُسْنِدُهُ
وإذا أغمدت اللَّحْظَ فتَكْ	تَ فكيفَ وأنتَ تُجرِّدُهُ
كم مهلَ خدك وجهَ رضا	والحاجبُ منك يُعقِّدُهُ
ما أنكرَ فيك القلبَ فكم	في نارِ الهجرِ يُخلِّدُهُ

أما قصيدة أبي الحسن على الحصرى القيروانى فعلى :

يَالَيْلَ الصَّبِّ مَتَى غَدُهُ	أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ
رَقَدَ السَّمَارُ فَأَرْقَهُ	أَسَفُ اللَّيْلِ يَرُدُّدُهُ
فبسكاه النِّجْمُ وَرَقَ لَهُ	مما يرعاه وَيَرُدُّدُهُ
كَلِفُ بَغْزَالٍ ذِي هَيْفٍ	خَوْفَ الْوَاشِينَ يُشَرِّدُهُ
نَصَبَتْ عَيْنَايَ لَهُ فَرَكَأَ	فِي النَّوْمِ فَمَزَّ تَصِيدُهُ
وكفى عجباً أنى قَنِصُ	لِلسُّرْبِ سَبَائِي أَغِيدُهُ
صَنَمٌ لِلْفِتْنَةِ مُنْتَصِبٌ	أَهْوَاهُ وَلَا أَتَعْبِدُهُ
صَاحِرُ الْخَمْرِ جَنَى فَمِهِ	سَكْرَانُ اللَّحْظِ مُعْرِيدُهُ
يَنْضُو مِنْ مَقْلَتِهِ سَيْفًا	وَكَأَنَّ نَعَاسًا يُغْمِدُهُ
فُيْرِقُ دَمَ الْمُشَاقِّ بِهِ	وَالْوَيْلُ لِمَنْ يَتَقَلَّدُهُ
كَلَا ، لَأَذْنَبَ لِمَنْ قَتَلَتْ	عَيْنَاهُ وَلَمْ تَقْتُلْ يَدُهُ
يَأْمَنُ جَحَدَتْ عَيْنَاهُ دَمِي	وَهَلْ خَدَيْهِ تَوْرِدُهُ
خَدَاكَ قَدْ اعْتَرَفَا بِدَمِي	فَعَلَامَ جُفُونِكَ تَجْجِدُهُ

إِنِّي لِأُعِيدُكَ مِنْ قَتْلِي وَأُظَنُّكَ لَا تَتَعَمَّدُهُ
بِاللَّهِ هَبِ الْمُشْتَاقَ كَرِّى فَلَعَلَّ خِيَالَكَ يُسَعِّدُهُ
مَا ضَرَّكَ لَوْ دَاوَيْتَ ضَنِّي صَبْرَ يَدْنِيكَ وَتُبَعِّدُهُ
لَمْ يُبْقِ هَوَاكَ لَهُ رَمَقًا فَلَيْبِكَ عَلَيْهِ عُوْدُهُ
وَعَدًا يَقْضِي أَوْ بَعْدَ غَدٍ هَلْ مِنْ نَظَرٍ . . يَزَوِّدُهُ
يَا أَهْلَ الشَّوْقِ لَنَا شَرَقُ بِالْأَمْعِ يَفِيضُ مُورِدُهُ
يَهْوَى الْمُشْتَاقُ لِقَاءَكُمْ وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تَبَعِّدُهُ
مَا أَخْلَى الْوَصْلَ وَأَعَذَّبَهُ لَوْلَا الْأَيَّامُ تُنَكِّدُهُ
بِالْبَيْنِ وَبِالْهَجْرَانِ ، فَيَا لِفُؤَادِي كَيْفَ تَجَادُّدُهُ
الْحُبِّ أَعْفُ ذَوِيهِ أَنَا غَيْرِي بِالْبَاطِلِ يُفْسِدُهُ

استحسان وضاعة الوجه (١)

كان لعز الدولة غلام ذكى وضىء الوجه ، ولغزط ميله إليه — جملة رئيس سرية جردت
للحرب ، ولم يستحسن المهيلى ذلك منه ، فكتب إليه :

ظَنِّي بِرِقِّ الْمَاءِ فِي وَجَنَاتِهِ وَيَرُوقُ عُوْدُهُ
نَاطُوا بِمَقْعِدِ خَصْرِهِ سَيْفًا وَمِنْطَقَةً تَوُوْدُهُ
جَمَلَاوُهُ قَائِدَ عَسْكَرٍ ضَاعَ الرَّعِيلُ وَمَنْ يَقُوْدُهُ

وكافت الدائرة على جيش الغلام كما أشار المهيلى ! .

وفى « خزانة الأدب » للبندادى ج ٣ :

الجارية : جميلة من بعيد ، مليحة من قريب ، والجميلة هي التي تأخذ بصرك جملة ،
فإذا دنت منك لم تسكن كذلك ، والمليحة هي التي كلما كررت بصرك منها زادتلك حسنا .

وقيل : الجميلة هي السَّمينَة من الجميل وهو الشحم . والمليحة : هي البيضاء ، والصبيحة كذلك ، من الصُّبح لبياضه .

وروى أنس عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « حُسْنُ الْوَجْهِ مَالٌ » .

وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً : « اطلُّبُوا الْخَيْرَ عِنْدَ حِسَانِ الْوُجُوهِ » .

وقال ابن عمر : قال صلى الله عليه وسلم : « ثَلَاثَةٌ تَجْلُو الْبَصَرَ : النَّظَرُ إِلَى الْخَضِرَةِ ، وَالنَّظَرُ إِلَى الْمَاءِ الْجَارِي ، وَالنَّظَرُ إِلَى الْوَجْهِ الْحَسَنِ » .

ونظمها الشاعر فقال :

ثَلَاثَةٌ يُذْهِبْنَ لِلرَّءِ الْحَزْنَ الْمَاءُ ، وَالْخَضِرَةُ وَالْوَجْهُ الْحَسَنُ

كواكب لا كواعب

كُنْ عبد العزيز بن سرايا ، وهو الإمام العلامة شاعر عصره على الإطلاق . وقد أجاد القصائد المطولة والمقاطيع ، وأتى بما أخجل زهر النجوم في السماء ، كما قد أزرى زهر الأرض في الربيع ، تطربك ألفاظه المصقولة ، ومعانيه المسولة ، ومقاصده التي كأنها سهام راشقة وسيوف مسالولة .

وكان مولده يوم الجمعة خامس شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٧ هـ . ورحل إلى مصر سنة ٧٢٦ ، واجتمع بالقاضي علاء الدين بن الأثير ومدحه ، كما مدح السلطان الملك الناصر بقصيدة وازى بها قصيدة المتنبي التي أولها : « يَا أَيُّ الشَّمُوسِ الْجَانِحَاتِ غَوَارِبًا » وفيها يقول :

أَسْبَلْنَ مِنْ فَوْقِ الثُّهودِ ذَوَائِبًا فَتَرَكْنَ حَبَّاتِ الْقُلُوبِ ذَوَائِبًا
وَجَلَوْنَ مِنْ صُبْحِ الْوُجُوهِ أَشْمَةً غَادَرْنَ قَوْدَ اللَّيْلِ مِنْهَا شَائِبًا
بِيضٌ دَعَاهُنَّ النَّبِيُّ كَوَاعِبًا وَلَوْ اسْتَبَانَ الرَّشْدَ قَالَ كَوَاكِبًا

سَفَّهَنَ رَأَى الْمَانَوِيَّةَ عِنْدَمَا
وسفرن لي ، فرأيت شخصاً حاضراً
أشرقن في حُللٍ كأنَّ أديمها
وغربن في كِللٍ ، فقلتُ لصاحبي :
وَمُعْرِيدِ اللَّحْظَاتِ يَتْنِي عِظْفُهُ
حُلُوُ التَّعَبِ وَالذَّلَالِ يَرَوْعُهُ
عَاتِبَتُهُ فَتَضَرَّجَتْ وَجَنَاتُهُ
فَارَانِي الْخَدَّ الْكَلِيمَ فَطَرَفُهُ
ذُو مَنَظَرٍ تَغْدُو الْقُلُوبُ بِحُسْنِهِ
لَا فَرَوْا إِنْ وَهَبَ اللَّوَاظِظَ حَظْوَةً
أَسْبَلَنَ مِنْ ظَلَمِ الشُّعُورِ غِيَاهِبَا
شُدِّهَتْ بَصِيرَتُهُ ، وَقَلْبَا غَايِبَا
شَفَقُ تَدْرِهُمُهُ الشُّمُوسُ جَلَايِبَا
« يَا بِي الشُّمُوسُ الْجَانِمَاتُ غَوَارِبَا »
فِيُخَالُ مِنْ فَرَجِ الشَّيْبَةِ شَارِبَا
عَتِي ، وَلَسْتُ أَرَاهُ إِلَّا طَائِبَا
وَأَزُورُ الْحَاظَا وَقَطَّبَ حَاجِبَا
ذُو النُّونِ إِذْ ذَهَبَ الْغَدَاةُ مُنَاضِبَا
نَهْبَا وَإِنْ مَنَحَ الْعَيُونَ مَوَاهِبَا
مِنْ نُورِهِ ، وَغَدَا لِقَلْبِي نَاهِبَا

كل فتاة بأبيها معجبة (١)

أرجوزة للأغلب المجلى ، يقول فيها :
كَرِيمَةُ أَخْوَالِهَا وَالْمَصَبَّةُ
كَأَنَّهَا حَقَّةُ مِسْكِ مُذْهَبَةٌ
كَأَنَّهَا حِلْيَةُ سَيْفٍ مُذْهَبَةٌ
نَمَّ انْتَنَتْ بِهِ فَوَيْقَ الرَّقَبَةِ
فَاعْلَنْتُ بِصَوْتِهَا : أَنْ يَا أَبَةَ
« كُلُّ فَتَاةٍ بِأَبِيهَا مُعْجَبَةٌ »

(١) في خزانة الأدب ج ١ : أرجوزة للأغلب المجلى يقول فيها :

أصل بليتي من قد غزاني (١)

من روائع شعر عبد العزيز بن الحسين بن الحباب الأغلبى السعدى الصقلى المعروف بالقاضى الجليس - ما يدعو إلى الحكمة فى غزله - وقد ماش نحواً من سبعين عاماً - كما تولى ديوان الإنشاء للفائز مع الموفق بن الخلال ، ومن مداعبته :

حَيَّا بِتَفَاحَةٍ مَخْضَبَةٍ مِنْ شَفَقَتِي حُبَّهُ وَتَيْمَنِي
فَقُلْتُ : مَا إِنْ رَأَيْتُ مُشَبَّهًا فَاحِرًا مِنْ خَجَلَةٍ فَكَذَّبْنِي
وقال أيضاً :

وَأَصْلُ بَلِيَّتِي مَنْ قَدْ غَزَانِي مِنْ السَّهْمِ الْمُلِحِّ بِعَسْكَرَيْنِ
طَبِيبٌ طَبَّهُ كَغَرَابٍ يَنْزِي يُفَرِّقُ بَيْنَ عَافِيَتِي وَبَيْنِي
أَتَى الْحَمَى وَقَدْ شَاخَتْ وَبَاخَتْ فَعَادَ لَهَا الشَّبَابُ بِنَسْجَتَيْنِ
وَدَبَّرَهَا بِتَدْيِيرٍ لَطِيفٍ حَكَاهُ عَنْ سُنَيْنٍ أَوْ حُنَيْنِ
فَكَانَتْ نَوْبَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ فَصَيَّرَهَا بِحَذَقٍ نَوْبَتَيْنِ
وقال أيضاً :

يَاوَارِثًا عَنْ أَبِي وَجْدَةٍ فَضِيلَةَ الطَّبِّ وَالسَّدَادِ
وَحَامِلًا رَدَّ كُلِّ نَفْسٍ هَمَّتْ عَنْ الْجِسْمِ بِالْبِمَادِ
أُنْقِصِمُ لَوْ قَدْ طَبِيتُ دَهْرًا لِمَادٍ كَوْنًا بِلَا فُسَادِ

وقال من جناس بديع :

رُبَّ بَيْضٍ سَلَّلَنَ بِاللَّحْظِ بَيْضًا مَرْهَفَاتٍ جُفُونُهُنَّ جُفُونُ
وَحُدُودٍ لِلدَّمْعِ فِيهَا خُدُودٌ وَعُيُونٍ قَدْ قَاضَ مِنْهَا عُيُونُ

وقال أيضاً :

حَبَّذَا مُتَعَةُ الشَّبَابِ يُمُ ذَرُّ فِي حُبِّهَا خَلِيعُ الْعِةِ
إِذْ يَذَاتِ الْخَمَارِ أُمْتَعُ لَيْلٍ وَيَذَاتِ الْخِمَارِ الْهُوَ نَهَارِ
وَالغَوَايِ لَا عَنِّ وَصَالِ غَوَانٍ والجواري إلى جواري جَوَادِ

تشبيب عمر بن أبي ربيعة

كانت عائشة ابنة طلحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، مديدة الجسم مكتنزة جانب وافر من الجمال ، حسنة الصورة ، وفي خلقها ألفة وعزة وصرامة ، حتى رآها يوماً فسبح وقال : كأنها من الحور .

وقد روى أبو الحسن المدائني ، عن عمر وأبي طارق بن المبارك ، أن عمر بن الخطاب قال يشبب بمائشة ابنة طلحة :

أصبح القلبُ في الخيال رهيناً مقصداً يوم فارق الفلاح
لم يرُغنى إلا الفتاة وإلا صمها في الرداء سحاً مسد
عجّلت حمةُ الفراق علينا برحيله ولم تخف أن تب
أنتِ أهوى العبادِ قُرْباً ووُدّاً لو تواتينَ عاشقاً عز
قاده الطرفُ يوم مرَّ إلى الحية نـ جهاراً ولم يخف أن يح
وجلاً برد بركة جندي ضوء وجهه يضي للناظر
فإذا ظبية تراعى نعاجاً ومها بهج الناظر عين
قلتُ : من أنتم ؟ فصدتُ وقالت أميدٌ سؤالك الماين
قلتُ : بالله ذي الجلالة لَمَّا إذ تبلتِ الفؤاد أن تصد
أى من تجمعُ المواسمُ أتمُّ فأينى لنا ولا تكذ

نحن من ساكني العراق وكُنَّا قَبْلَهَا قَاطِنِينَ مَكَّةَ حِينَا
 قد صدقناك أن سألتَ فمن أذ تِ عسى أن يَجُورَ شَأْنُ شُؤُونَا
 قد نرى أَنَّنَا عرفناكَ بالله تِ نَظُنُّ وما قَتَلْنَا يَقِينَا
 بِسَوَادِ الثَّانِيَتَيْنِ وَتَغَرَّرَ قَدْ رَأَى لَنَاظِرَ مُسْتَبِينَا
 فكانت عائشة تقول : والله ما قلتُ له هذا وما كلمته قط .

وأبنا أبو الحسن عبد الله بن قائد قال : دخلت عائشة بنت طلحة بمكة على الوليد بن
 عبد الملك فحدثته وقالت : يا أمير المؤمنين ، مرُّ لي بأعوان ، فصير إلها قوماً يكونون
 معها ، فنجت ومعهما ستون بنلاً عليها الهودج والرحائل .

صُبْحُ المشيب يدل على ليل الشباب

قال الأمير أسامة بن منقذ :

قللوا نهاء الأربعون عن الصِّبَا وأخو المشيب يجوزئمة يهتدى
 كم حار في ليل الشباب ، فدله صُبْحُ المشيب على الطريق الأقصد
 وإذا عددت سِنِّيْ ثُمَّ تقصّها ومنَ الحموم فتلك ساعة مولدي

الشاعر الغزال (2)

من روائع البيان ما حكاه ابن حيان ، من أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم
 الرواني ، وجه شاعره الغزال ، إلى ملك الروم ، فأعجب الملك حديثه لما حواه من رقة المعاني
 وخف على قلبه ما احتواه من دقة المباني ، وسر به سروراً عظيماً ، وقال من لدنه
 ودّاً وتكريماً ، حتى إنه مال إليه ، وقرّبه لديه ، فطلب منه منادمته ، إلا أنه امتنع لما أدرك
 جليلة الأمر معتذراً بتحريم الخمر .

فلما أن كان يوماً جالسا عنده، إذ خرجت زوجة الملك وعليها زينتها. ووجهها جميل مشرق، كأنها الشمس الطالعة حسناً وضياءً، فلما لبث الغزال لا يعيل طرفه عنها شغفاً بياهر ما استرطاه منها، وجعل الملك يحدثه وهو لاهٍ عن حديثه. فانكر ذلك عليه، وأمر الترجمان بسؤاله. فقال له: عرفته أأنتي قد بهرني من حسن هذه الملكة ما قطعني عن حديثه، فأنتي لم أرقط مثلها. وأخذ في وصفها وما شاهده من عجيب جمالها ودلالها، حتى لكأنما شوقته إلى لقاء الحور العين. فلما ذكر الترجمان ذلك للملك الروم، زاد إعجابه بالشاعر الغزال. كما سرت الملكة بوصفه لها.

غزال قد غزا قلبي (١)

في كتاب «الطرب» حكى أبو الخطاب بن دحية أن الغزال، وشهرة اسمه «غزال» أرسل إلى بلاد الجومس، وقد قارب الحسين أو يزيد، وقد وخطه الشيب ولسكنه كن مجتمع الأشد، ضليح الجسم، قسياً وسياً، فسألته يوماً زوجة الملك، واسمها (تود) عن سنه. فقال مداعباً: عشرون سنة. فقالت: وما هذا الشيب؟ فقال: وما تنكرين من هذا؟ ألم ترني قط مهرأ ينتج وهو أشهب؟ فأعجبت بقوله، وقال في ذلك:

كُفَّتْ يَاقَلْبِي هَوَى مُتَعَبَاً	غَالَبَتْ مِنْهُ الضَّيْفَمُ الْأَغْلَبَا
إِنِّي تَعَلَّقْتُ بِجَوْسِيَّةٍ	تَأْتِي لَشَمْسِ الْحُسْنِ أَنْ تَقْرُبَا
أَقْصَى بِلَادِ اللَّهِ فِي حَيْثُ لَا	يُلْفَى إِلَيْهِ ذَاهِبٌ مَذْهَبَا
يَا تَوْدُ يَا وَرَدَ الشَّبَابِ الَّذِي	تُطْلِعُ مِنْ أَزْرَارِهَا الْكُوكَبَا
يَا أَبَايَ الشَّخْصُ الَّذِي لَا أَرَى	أَحْلَى عَلَى قَلْبِي وَلَا أَعْدَبَا
إِنْ قُلْتُ يَوْمًا إِنَّ عَيْنِي رَأَتْ	مُشَبِّهَةً لَمْ أَعُدْ أَنْ أَكْذِبَا
قَالَتْ: أَرَى (فَوَدَيْهِ) قَدْ نَوَّرَا	دُعَابَةً تُوجِبُ أَنْ أَدْعِبَا

لها : ما باله... إنه قد يُنتج المهر كذا أشهباً
نضحكت عجباً بقولي لها وإنما قلت ليكى تعجباً
ولما فهمها - الترجان - شعر « غزال » ضحكت، وأمرته بالخضاب فقدا عليها،
وقال :

كرت تحسن لي سواد خضابي فكان ذاك أعادني لشبابي
شيب عندى والخضاب لواصل إلا كشمس جللت بضباب
نى قليلاً ثم يُقشعها الصبا فيصير ما سرت به لنهاب
نكرى وضح الشيب فإنما هو زهرة الأفهام والألباب
ما تهوين من زهو الصبا وطلاوة الأخلاق والآداب

غرام أم جنون

مر الائق ما امتاز به الشاعر أبو الحسن مروان بن عثمان وقد كان بهيم بوصف
لم يعين لها اسماً - حتى لا يشهر بها في التشيب ، ولكيلا يعرفها عند العام ،
دادها من الخاص، وفي الأبيات التي يناجها بها معان قد جمع فيها حسن التعبير ،
وكان عفيفاً في دقة نظمه ، وصفاء تعبيره ، فقال :

كن منى السقم حتى كأننى توهم معنى فى خفى سؤال
ساحت عيناه عيني فى الكرى لأشك من طيف الخيال خيالي
ت بروحى وهى عندى عزيزة وجدت بقلبي وهو عندى غالى
خفت أن تقضى على منيتي ولم أقض أوطارى بيوم وصال
ن ما لقي من الوجد أنه صدود دلال لاصدود ملال
كان ذاك الصد منه ملالة شددت عن الدنيا مطى رحالي

ثمّ مالبث أن استرسل في مواجيدته ، واستلهم مشاعر أناشيده . فة
 ما يالُ قلبك يستبين أبه غرامٌ أم جنو
 برّح الخفاء بما تجنّ فأذهب الشكّ
 حتّى مشى بين الجوا نوح والضلوع هوّ
 وإلى متى قلبُ التّسيم في يدِ البلوى
 شخّصت له فيك العيو ن وقُسمت فيك ا
 وسلّبت البابَ الورى بلوا حظٍ فيها فتو
 وقوامُ أغصان الرّيا ض وأين تدرّكك الا
 الحسنُ في الأغصان فنّ وهو في هذا
 من أين للأغصان ذا ك الحسنُ والسّحرُ ا
 أم ذلك الورْدُ الجنيّ بخدّه واليا

سلعوس وسلعسة (١)

قال إبراهيم بن الهديّ : كنت يوماً بحضرة المأمون ، فقالت لي «
 العبث : ياسلعوس . فقلت :
 أما لعريب أن ترى غير سلّعسة فكوني كما أنت ، تك
 فقال المأمون على الفور :
 فإن كثرت منك الأقاويل لم يكن هُنالك شكّ أن ذا
 قال إبراهيم : فمجببت من فطنة المأمون . وقلت :
 كذا - والله - يا أمير المؤمنين قدّرت ، وإيّاها أردت ا

عاتكة بنت معاوية

حدثني الكُراني قال : حدثني العمري عن الهيثم بن عدي - قال : حدثنا صالح
ابن حسان - قال : وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف بن الميرزبان - قال : حدثني محمد
ابن عمر - قال : حدثني محمد بن السري - قال : حدثنا هشام بن الكلبي عن أبيه يزيد ،
واللفظ لصالح بن حسان ، وخبره أم . قال : حَجَّتْ عَاتِكَةُ بِنْتُ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ -
فزلت من مَكَّة بِذِي طَوًى ، فبينما هي ذات يوم جالسة وقد اشتدَّ الحرُّ وانقطع الطريقُ ،
وذلك في وقت الهاجرة ، إذ أمرت جواربها فرفعن السَّترَ وهي جالسة في مجلسها ، عليها
شُفوفٌ لها ، تنظرُ إلى الطريق ، إذ مرَّ بها أبو دِهَيْبٍ الجُمَحِيُّ - وكان من أجمل الناس
وأحسنهم منظرًا . فوقفَ طويلًا ينظر إليها وإلى جمالها ، وهي غافلة عنه ، فلما فطنت له
سترت وجهها ، وأمرت بطرح السَّتر . وشمته ، فقال أبو دِهَيْبٍ :

إني دماي الحينُ فاقتادني حتى رأيتُ الظبيَ بِالبَابِ
ياحُسْنَهُ إذ سبَّني مُذِرًا مُسْتَتِرًا عَنِّي بِمَجْلِبَابِ
سبحان من أوقعها حُسرةً صُبَّتْ عَلَى الْقَلْبِ بِأَوْصَابِ
يَدُودُ عنها إن تطلَّبتُها أبٌ لها لَيْسَ بِوَهَّابِ
أحلها قصرًا مَنيعَ الذُّرى يُحْمَى بِأَبْوَابِ وَحُجَابِ

وقال أيضًا :

طالَ لَيْلِي وَبِتُ كَالْمَحْزُونِ وَمَلَّتُ الثَّوَاءَ فِي جِيرُونِ
وأطلتُ المقامَ بالشَّامِ حَتَّى ظَنُّ أَهْلِي مَرَجَّاتِ الظُّنُونِ
فَبَكَتْ خَشْيَةَ التَّفَرُّقِ جُمْلُ كِبَاءُ الْقَرِينِ إِثْرَ الْقَرِينِ
وهيَ زهراءُ مثلُ لَوْلُوءِ النَّوَاصِ مِيزَتْ مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنُونِ
وَإِذَا مَا نَسَبَتْهَا لَمْ تَجِدْهَا فِي سَنَاءٍ مِنَ الْمَكَارِمِ دُونِ
ثُمَّ خَاصَرَتْهَا إِلَى الْقُبَّةِ الْخَفْ بَرَاءَ تَمْشِي فِي مَرَمَرٍ مَسْنُونِ

قُبَّةٌ مِنْ مَرَاجِلٍ ضَرَبُوهَا عِنْدَ بَرْدِ الشِّتَاءِ فِي قَيْطُونِ
عَنْ يَسَارِي إِذَا دَخَلْتُ مِنَ الْبَا بَ وَإِنْ كُنْتُ خَارِجًا عَنْ يَمِينِي
وَلَقَدْ قُلْتُ إِذْ تَطَاوَلَ سُقْمِي وَتَقَلَّبْتُ لَيْلَتِي فِي فُنُونِ
لَيْتَ شِعْرِي أَمِنْ هَوَى طَارَ نَوَى أَمْ بَرَانِي الْبَارِي قَصِيرَ الْجُنُونِ

وصيفة مهدوية في مجلس ابن صمادح

قال ابن بسام (١): كان المعتصم بن صمادح، يوماً مع ندمائه. فأبرز لهم وصيفة مهدوية متصرفة في أنواع اللعب المطرب من ذلك. وحضر أيضاً هناك لاعب مصري ساحر، فكان لعبه حسناً، فارتجل أبو عبد الله بن الحداد:

كَذَا فَلْتَلَحْ قَمَرًا زَاهِرًا وَتَجْنِي الْهَوَى نَاضِرًا
وَسَيِّبُكَ سَيِّبُ نَدَى مُنْدِقٍ أَقَامَ لَنَا هَامِيًا هَامِرًا
وَبَانَ لِيَوْمِكَ ذَا دَوْتِي مُنِيرًا كَنُورِ الضُّحَى بَاهِرًا
صَبَاحَ اضْطَبَحْنَا بِإِسْفَارِهِ لَحْظَنَا مُحْيَا الْعَلَا سَافِرًا
وَاطْلَمْتَ فِيهِ نَجُومَ الْكُؤُوسِ فَالْزَالِ كُوكِبُهَا زَاهِرًا
وَأَسْمَعْتَنَا لَاحِنًا قَاتِنًا وَأَحْضَرْتَنَا لَاعِبًا سَاحِرًا
وَتَنَاهَا . ثَابِتٍ لَالْمَا بِهِ دَفَائِقُ تَتْنِي الْحِجَا حَاطِرًا
وَفِي سَوْرَةِ الرَّاحِ مِنْ سِحْرِهِ خَوَاطِرُ ، دَلَهَتْ الْخَاطِرَا
إِذَا وَرَدَ الْإِحْظَ أَثْنَاءُهَا فَمَا الْوَهْمُ عَنْ وَرْدِهَا سَادِرًا
وَمِنْ حَسَنِ دَهْرِكَ إِبدَاعِهِ فَمَا انْفَكَ عَنْهَا عَارِضَا
وَسَعْدُكَ يَجْتَلِبُ الْغُرَيَاتِ فَيَجْعَلُ غَائِبَهَا حَاضِرًا

(١) فتح الطيب ج ٢ ص ٨١٦ .

وصف جارية المنذر إلى أنوشروان

أهدى المنذر الأكبر^(١) إلى أنوشروان ، جارية كان أصابها إذ أغاد على الحارث الأكبر بن أبي شمر الغساني ، وكتب إلى أنوشروان يصفها فقال :

إنني قد وجهت إلى الملك جارية معتدلة الخلق ، نقيّة اللون والثغر ، بيضاء قمراء ، وطفاء كحلأ ، دغجاء عيناء ، قنواء شماء ، برجاء زجاء ، أسيلة الخد ، شهية القبل ، جثلة الشعر ، عظيمة الهامة ، بعيدة مهوى القرط ، عيطاء عريضة الصدر ، كعب الثدي ، ضخمة مشاش المنكب والمضد ، حسنة المعصم ، لطيفة الكف ، سبطة البنان ، ضامرة البطن ، خميصية الخصر ، فرثي الوشاح ، رداح الإقبال ، رابية الكفل ، لفاء الفخذين ، رباء الروادف ، ضخمة الماكنتين ، مفعمة الساق ، مشبعة الخلخال ، لطيفة الكمب والقدم ، قطوف الشئ ، مكسال الضحى ، بضّة المتجرّد . وهي مموع للسيد ، ليست بخنساء ولا سفهاء ، دقيقة الأنف ، عزيزة النفس ، لم تغد في بؤس ، وزينة حليلة ، ركنة ، كريمة الحال ، تقتصر على نسب أبيها دون فصيلتها ، وتستغنى بفصيلتها دون جماع قبيلتها ، قد أحكتها الأمور في الأدب ، فرأى أهل الشرف ، وعملها عمل أهل الحاجة ، صناع الكفّين ، قطعة اللسان ، رهوة الصوت ، ساكنة ، تزين الولي ، وتشين العدو . إن أردتها اشبتت ، وإن تركتها انتهت .

فارس عربي جميل

حكى محمد بن إسحاق^(٢) قال : كنت مشغولاً بأخبار العرب وأشعارها وأذكر أنها من أغرب الأشعار . وأميل إلى ذكر أيام العرب ، وأحب أن أسمعها وأجمعها ، فزل علينا في بعض الأيام فتيان من بني ثعلبة ، فذهبت إليهم لأسمع من أشعارهم وأجمع من أخبارهم ،

(١) والأعاني ج ٢ ص ٢٩ . (٢) في العزير المحلى ص ٧٦٢ .

فروت بفناء خيمة ، وإذا غلام ما رأيت مثله قط حسناً وجمالاً . له ذؤابتان كأنهما السبع المنظوم ، تحت ذلك وجه كالقمر ليلة ثمة . وعنده امرأة أحسن منه وأجل ، وأكثر ما أسمع من كلامها (يا بُنى) ، وهو يتنسيم لها وقد غلب عليه الحياء كأنه كاعب عذراء ، ولا يرُدُّ لها جواباً من الاستحياء . فاستحسنت ما رأيت منهما ، فدنوت من الخباء ، فبصرت المرأة بي . ثم قالت لي : يا حَضْرِي ، ما حاجتك ؟ . فقلت : لاحتاجة لي إلا الذي استحسنت منك ومن هذا الغلام . فقالت : أتحب أن أسمعك شيئاً من خبره ، وهو خير لك من نظره ؟ . فقلت لها : هاتي لله درُّ أهلك . فقالت لي : إني حملته تسعة أشهر ، فكُنَّا في عيش ضنك كدير ، ورزقي نزرٍ حقير ، حتى إذا شاء الله أن أضعه ، فوضعتُه — بحمد الله خلقاً سويّاً ، فلا وأبيك ما هو إلا أن وضعتُه حتى من الله علينا ، وأجزَلَ وسهَل وتفضل ، بيمين وجهه وسعادة طلعتِه . فسميته (مالِكاً) ثم أرضعته حولين كاملين . فلما استتم الرضاع ، نقلته من الهدى بيني وبين أبيه ، فنشأ بيننا كأنه شبل أسد ، فقيه برَد الشتاء وحر الصيف . فلما مرَّ عليه خمسة أعوام ، دفعته إلى مؤدِّب يعلِّمه القرآن ، فقرأه وتلاه ، ونظم الشعر ورواه ، حتى أتمَّ سبع عشرة سنة ، فأركبته عتاق الخيل فتفرَّس ، وحمل السلاح فتشرَّس ، ومشى بين بيوت الحى ، وأصغى إلى صوت الصَّارخ ، وأنا خائفةٌ عليه وجلةٌ مُشفقةٌ من الألسنة أن تشينه ، ومن الألفاظ أن تعينه ، حتى شاء الله أن تُصيبنا سنون أجديت بلادنا ، وكاد يهلك كبارنا وأطفالنا ، فخرجنا إلى مناهل غير مناهلنا ، ونزلنا في غير منازلنا ، فخرج أصحابنا لطلب ثارهم ، وخلفه عن الرُّكوب معهم وجَّع أصابه ، فلا وأبيك ما علمنا حتى دهمتنا الخيل من العدو ، ولم يتولنا عقل ، ولا هدونا . فما كن إلا هينة حتى حلزوا على الأموال ، وانهزم الرجال ، وهو في البيت يسألني عن الصوت ، وأنا أكايمه خيفةً عليه . حتى علَّت الأصوات ، وبرزت الخجبات . فلما سمع ذلك ثار كما يشور الليث المنضب ، وأسرج فرسه ، ثم أفرغ عليه لامة حرَّبه ، وتقلد سيفه ، واعتقل رُمحه . ثم لحق العدو ،

فطعنَ أدنى فارس منهم فأرداه قتيلاً ، فرجعوا إليه ، فأروهُ ولدًا لطيفاً ، صبيّاً ظريفاً ،
فمطفوا عليه . . . وتلقاهم ضرباً بالسيف ، وطعننا بالرُمح ، حتى هلك أكثرهم
وفرَّ الباقيون !

غَنِيَّة : شَحَاذَةُ

لو كان بالصبر الجليل ملاذهُ	ماسح وابلُ دمعبه ورداذهُ
مازال جيشُ الحبِّ يغزو قلبهُ	حتى وهى وتقطعت أفلادهُ
لم يبقَ فيه من الغرام بقيةُ	إلا رسيسٌ محتويه جدادهُ
من كان يرغبُ في السلامة فليكنْ	أبدًا من الحدقِ المراضِ عيادهُ
لا تخدعنك بالفتور فإنه	نظرهُ يضرُّ بقلبك استلذادهُ
يا أيُّها الرشاشُ الذى من طرفه	سهمٌ إلى حبِّ القلوبِ قاذهُ
دُرٌّ يلوحُ بفيك : مَنْ نظامُهُ ؟	خمرٌ يَجُولُ عليه : مَنْ نَبَادُهُ
وقناةُ ذاك القَدُّ : كيف تقومت ؟	وسنانُ ذاك اللَّحْظِ : ما فُولادُهُ ؟
رفقاً بجسمك لا يذوبُ فإننى	أخشى بأنَّ يجهو عليه لآذهُ
هاروتُ يَمْجِزُ من مواقعِ سحرِهِ	وهو الإمام ، فن تَرى أستاذهُ
تالله ما عِلقتُ محاسنك امرأً	إلا وعزٌّ على الورى استنقادهُ
أغريتُ حُبَّكَ بالقلوبِ فأذعنتُ	طوعاً وقد أودى بها استيخوادهُ
مالى أنيتُ الحظَّ من أبوابِهِ	جهدى ، فدامَ تقورُهُ ولِوَادُهُ
إياك من طمعِ المنى ، فعزیزهُ	كذليله ، وغَنِيَّةُ : شَحَاذَةُ

العيون

لأعذب العين

قال الشاعر^(١) ابن الصّدي يصف العيون :

هي التي توقع القلب في التعب ، وتوفر نصيبه من أسهم الهم والنصب ، وترميه بدواهي الهوان ودواهي الهوى ، وتسلمه إلى مكيدة الغرام ومكابدة الجوى ، لوعدت بطول السهر وكثرة الدموع وبفيض الشئون وعدم الهجوع ، وبمسامرة الأحزان والفكر ، وبمراقبة النجوم إلى السحر ، وبعدم الإغفاء وطول السهر - لكان استحقاقها وجود جود الدمع وإن طما ، وعدم منال المنام وإن نما :

لأعذب العين غير مفكر فيما جرت بالدمع أو سالت دما
ولأهجرن من الرقاد لذيذه حتى يمود على الجفون محرما
هي أوقعتني في جائل فتنة لو لم تكن نظرت لكنت مسلما
سفكت دمي فلاسفحن دموعها وهي التي بدأت وكانت أظلاما

ولعلّ موجب هذه الواعظة ، والألفاظ التي هي بالتحذير لافظة أنى خرجت في بعض الأيام متفرّجا وسارحا ، وجائلا بطرفي في الرياض وسائحا ، وصحبي صديق لي في المحبة صادق ، ورفيق لي فيما أروم موافق ، قد ملك كل حسن ولطافة ، وجمع كل حذق وظرافة ، يتنصب لخدمتي لا يمل ولا يسأم ، ويتعب في مرضاتي لا يكل ولا يندم ، ويجتهد في موافقتي لا يئس ولا يئس ، ويحسن مرافقتي لا يندم ولا يندم ، قد اتخذته جبهة أخباري ، وكزنا لخزائن أسرارى ، لا أستطيع مفارقة وجهه الجميل ، وهو عندي كما قيل :

بروحى من لا أستطيع فراقه ومن هو أوفى من أخى وشقيقي
إذا غاب عني لم أزل متلفتا أدور بعيني نحو كل طريق

(١) في لوعة الشاك ودمة الباكي .

معاني لفظ العين

للامامة أحمد السجاعي - المتوفى سنة ١١٩٧ هـ - قصيدة رائعة في معاني لفظ العين ،
وهي في فتحها غريبة - قد احتوت على معاني في لفظ (عين) . وقد جعل حروف اسمه في أوائل
آياتها بالترتيب . وهذه هي القصيدة كما نُقلت من خط الشيخ مصطفى البدرى في كراسة
« مجموعة لغوية » :

وقد وضعنا^(١) تفسير كل لفظ عين فيها بين (قوسين) بعده :

أيا ظني الفلا وكحيل عيني ويا بدر الدجى وضياء عين
(الشمس)

حُميت من المسكاره ياغزالاً حوى كل الكمال بدون عين
(العين)

ملك القلب منى يا حبيبي وحق المصطفى المجري لعين
(الماء)

دعانا لله بداية نعم طه رسول قد أبان لطرق عين
(حقيقة القبلة)

أمين سيّد ما فيه شك به تهدي الأنام بكل عين
(الناحية)

له ذات خلت من كل سوء وقلب قد خلا من شين عين
(الرياء)

سما فوق السماء ونال قرباً وخطب ربه وحظي بعين
(النظر)

جيل النفس والأعمال قطعاً صني خالص من قبح عين
(الميل)

(١) وضع تفسير كل لفظ عين بين (قوسين) المنقور له العلامة أحمد تيمور باشا وذلك بالمداد الأحمر.

أذاع الخيرَ فينا كلَّ وقتٍ وعودَ أُمَّةٍ من شرِّ عَيْنِ
(إصابة العين)

عَلَا رتَبًا فليسَ لها انتهاء وأظهرَ دينَه نَليارَ عَيْنِ
(الجماعة)

يُقيمُ شريعةَ غرَاءَ فينا يَهَا... كم قد هدَى من كلِّ عَيْنِ
(الإنسان)

رؤوفٌ بالعبادِ رحيمٌ قلبِ عظيمُ القَدْرِ سَيِّدُ كُلِّ عَيْنِ
(الكبير)

كريمٌ منتقى ، بحرُ المطايا فكَمَ منح الأنامِ جَزِيلَ عَيْنِ
(المال)

عظيمُ مُجْتَبَىٍ قد ظَلَلَتْهُ لَدَى حَرٍّ عَظَائِمُ كُلِّ عَيْنِ
(السحاب)

خليلُ اللهِ أحَدُ ذُو كَالِ مجيرُ النَّاسِ من لَحْظِ بَمَيْنِ
(المطر)

رحيمٌ بالعبادِ سريعٌ بأسِ على قومٍ لثامٍ مِثْلَ عَيْنِ
(الطائر)

كبيرُ القَدْرِ في الدارينِ حقًا مُنِيتُ النَّاسِ من حَرٍّ لَعَيْنِ
(شعاع الشمس)

رسولُ اللهِ أنتَ لنا ملاذٌ لنا فيكَ الرَّجَا يَاسِلَ عَيْنِ
(الخيار)

فكم صرقتَ عنا من كروب بدُنْيَا ثمَّ أُخْرَى عَمَدَ عَيْنِ
(الجد واليقين)

وخلَقك مَبْدَأُ الأشياءِ حقًا حَبِيبِي أنتَ أَوَّلُ كُلِّ عَيْنِ
(الشيء)

عليك الله صلى مع سلام أصولك مثل ذا من هم كعين
(الذهب)
وآل ثم أصحاب جميعاً فهم بذلوا لدين كل عين
(الدنيا أو النفس)
وكم قضبوا بسيف الله رأساً من الأعداء. وكم قهروا لعين
(الشديد)
وكم أحيا بهم ربى علوماً منية ومنها ذات عين
(الحضور)
كذا أتباعهم ما قال عبد : أيا ظي الفلا وكحل عين
(الباصرة)

وصف العين وأسماء أجزائها

في أول كتاب « سحر العيون » : الباب الخامس في وصف العين وأسماء أجزائها
وعيوبها الخلقية وغيرها . قال المؤلف :

اعلم يا نور الأعيان ، وأعز من إنسان عيون الأجنان ، أن - (مقلة العين) في اللغة هي :
الشحمة التي تجمع السواد والبياض ، سُميت بذلك من قولهم : مقلت الرجل في الماء :
إذا غوصته فيه ، وتماقل الرجل في الماء : إذا غاص فيه ، وتماقل الرجلان في الماء : إذا تناوصا
فيه ليعلم أيهما أصبر على النوص ، فلما كانت - حبة العين غائصة في مائها سُميت : المقلة ،
ويقال : ما مقلت عيني مثل فلان : أي : ما نظرت ، قال الشيخ شهاب الدين أحمد الحاجي :

لها عين لها غزل وغزل مكحلة . ولي عين تباكت
وحاكت في فعايلها المواضي فيالك مقلة غزلت وحاكت

و(الحدة) . هي السواد الأعظم (في العين) سُميت بذلك لأن البياض مُحْدِقٌ بها ،

ويقال : أصدق القوم به وحدقوا به - لنتان - أى : أطافوا به من جميع نواحيه .

وقال الشريف الرضى :

ياقلبُ مالكَ لا شئَ وقادراً رأيتُ بيناك كيفَ مَصارعُ المُشاقِّ ؟
فمكت بك الحدقُ الرّاضُ ولم تزل تتجى القلوبَ جنايةُ الأحداقِ

و (الناظر) : السّواد الأصغرُ الذى يُبصِّرُ به الرائي شخصه ، والعربُ تقول : هو مثالها ، وإنسانها ، ودوابها ، وناظرها ، وبصرها ، وضئها ، وغيرها ولعبتها ، وبؤبؤها ، وتمثالها ، وسوادها ، وحشها ، ومذلكها .

قال ابن مطرف : وهذه الأسماء كلها لموضع البصر الذى فى حاسة البصر ، والجمع : نواظرُ وليس الذى يرى الرائي صورة نفسه فى ذلك الماء لصفائه ، ويستدل على صحة الحاسة بما تخيل فيه .

و (الناظران) - أيضاً : عرقان فى العين يسقيان الأنف ، يقال إنه لمرتفع الناظرين ، ويقال للذى استحيى من أمره : خَفَضَ له ناظريه ، والناظرُ يجمع على : نواظر . قال شارح كتاب الفصيح : نظرت لعمى ونظرت : انتظرت وتفظرت .

و (نظرت) بمعنى : رحمت وتفكرت . وأنظرت الرجل : أخرته ، وأنظرتُه : جعلته ينتظرني ، وقوله تعالى : (انظرونا) أى : أمهلونا : قال الشيخ برهان الدين القيراطي :

يا قاتلي بنواظر أجفانها بسيوفها الأمثالُ فينا تُضربُ
قلُ للنزال أو النزالة إذ رنت أوالح يهربُ ذا ، وتلك تغيبُ

و (الحالمق) : هى بواطنُ الأجفان ، واحداً حالمق - قال ابن مطرف : هى التى تراها - إذ قلبت للكحل - عمرة . وقال الزبيدي : الحالمق : نواحي العين ، ويقال لمؤخرى العينين مما يلى الصدغين : الحقيان ، الواحد حقيم . والأشفارُ هى حروف الأجفان التى ينبت عليها الشعر ، والواحد : شقر ، ومنه شفير الوادى ، وشفير كل شئ حرقه .

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة :

إذا كان شقرُ العينِ فوقَ محلِّها فعندى أنا الأشفارُ خيرٌ من العينِ

و (الأهدابُ) : الشعرُ النابتُ عليها ، واحدها : هُدْبٌ - بضمّ الهاء وسكون الدال
المهملّة ، قال الشيخ برهان الدين :

أهدابٌ لَحِظْتُكَ للورى شركَ فمنْ أَوْثَقَتْهُ فيهنَّ لا يَتَفَلَّتُ
كَيْفَ النِّجاةُ وَرُمِحَ قَدُّكَ مُشْرِعٌ؟ كَيْفَ الْخِلاصُ وَسَيْفُ لَحِظِكَ مُصَلَّتٌ؟
(المخجِرُ) : مدار بالعين ، وهو ما يبدو من البرقع والنقاب ، وجمعها محاجرٌ ، ويقالُ :
مَخَجَّرَ - بفتح الميم وكسر ها ، وفتح الجيم وكسر ها أيضاً ، وإنما سُمِّيَ الحجرُ محجراً لآثقه
منفل من الحجر وهو المنع ، فكأنه مانعٌ عن العين من جميع جهاتها ، ومنهُ الحجرةُ
المحيطة بالجدر ، والجمعُ : الحُجُرَات .

قال الأمير سيف الدين المشدّ وأجاد :

إنّ العيون لك الحصون : قَهْدُهَا شُرُفَاتُهَا ، وَجُفُونُهَا الْأَسْوَارُ
وكذا محاجرُها : الخنادقُ حَوْلَهَا وَالْحَافِظُونَ بِهَا هُمُ الْأَنْوَارُ

و (الموق) و (الموق) : هو طرفُ العينِ ممّا يَلِى الأنفَ ، وهو مخرَجُ السمع من العينِ ،
ولكلّ عينٍ موقانٌ ، وفي الموقِ وفي جمعه لُفَاتٌ كثيرةٌ يقالُ : مَاقٌ - بالهمز ، وجمعه آماقٌ ،
وموقٌ - غير مهموزٍ ، وجمعه أمواقٌ وأماقٍ ومَاقٍ . والمقيةُ - لُفَةٌ في الماقِ أيضاً ، والجمع
مُقَى . والمَاقُ : مقدمها . وقيلَ : الموق مؤخّرُ العينِ ، ومَاقٌ يُجْمَعُ على مَوَاقٍ مثلُ قَاضٍ
وقَوَاضٍ . وفي الحديث : « كَانَ يَكْتَحِيلُ مِنْ قَبْلِ مَوْقِهِ مَرَّةً وَمِنْ قَبْلِ مَاقِهِ أُخْرَى » .
قال المتنبي يمدحُ كافور الأَخشيديّ :

قَوَاصِدُ كَافُورٍ تَوَارِكُ غَيْرِهِ وَمَنْ وَرَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَاقِيَا
فَجَاءَتْ بِهِ إِنْسَانٌ عَيْنِ زَمَانِهِ وَخَلَّتْ بِيَاضًا خَلْفَهَا وَ (أَمَاقِيَا)

و (الألحاظُ) : جمعُ لَحْظٍ ، وهو مؤخّرُ العينِ الذي يلى الصدغَ وجمعُها لحاظٌ ، ولواحظُ .
فأما اللحظةُ فهي النظرةُ وجمعها : لحظاتٌ في القليل ، واللحظ في الكثير ، ويجوز أن
يُجْمَلُ موضعُ اللحظة . يقالُ : لحظ العين - مثل رأى العين ويقال : لحظ السماء بطرفه يلحظ
لحظاً فهو لاحظ .

قال شيخ الشيوخ الأنصارى بحماسة :

يا نظرة قد جلت لي حسن طلعته حتى انتقضت وأدامتنا على وجل
عابت إنسان عيني في تسرعه فقال لي : خلق الإنسان من عجل
(والطرف) : هو مآل بأحد السوادين : السواد الأعظم ، والسواد الأصغر . قال ابن مطرف :
« طرف العين تحرك أشعارها » ويقال : طرفة عين ، والعين المطروفة منه مأخوذ ، وهو
أن يُصيب سوادها شيء فيتأذى صاحبها به ، وربما أبطلها . وهي « الطرفة » قال الشيخ
علاء الدين الوداعي :

كم دماء مطلولة في هواه . وبها ورد خده مظلول
وحديث من السقام صحيح قد رواه عن طرفه مكحول
و (القبل) هو ميل الحدة في النظر إلى الأنف . وأنشد الثعالبي وقد استحسنه
في « فقه اللغة » له - قول ذي الرمة :

أشتهى في الطفلة القبلا لا كثيرا يشبه الحولا
وقال جرير :

وما زالت القتلى تمج دماها . بدجلة حتى ماء دجلة (أشكل)
وقول علاء الدين البديوي :

أنا جد أنصار النبي لأنني يا أزرع العينين عبد (الأشهل)
وأنشدني المولى أبو الفتح عبد الرسام الأزهرى :

رنت رمت فأصاب قلبي ، وأذكت لهيبه
فهو الصاب بعين (شهلاء) وهي المصيبة

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة :

وأغيد كل شيء فيه يمجبي كأنما هو مخلوق على شرطي
أجفائه السود ما تخطى إذا رشقت سهامها ، وسهام الليل ما تخطى

وقال علاء الدين الوداعي :

رَمَتْنِي سَوْدُ عَيْنِيهِ فَأَصَمَّتْنِي ، وَلَمْ تُبْطِئِ
وَمَا فِي ذَاكَ مِنْ بَدْعٍ سِوَاهُمْ اللَّيْلُ مَا تُخْطِئِ

وقال شهاب الدين الزعفراني :

مَلِكٌ عَلَى الْمَشَاقِّ ، سَكْرَانٌ طَرَفُهُ
شَكُوتٌ إِلَيْهِ أَسْرَ قَلْبِي فِي الْهَوَى
فَلَا عَجَبٌ لِلْحَظِّ مِنْهُ يُعْرِيدُ
فَوَقَعَ لِي : سِحْرُ الْجَفُونِ يُخَلِّدُ

وقال بشار بن برد :

يَا مَنْ بَرَّاقَ رَيْقِهِ يَحْيِي الْوَرَى
مِنْ سِحْرِ عَيْنَيْكَ الْمَهَابَةِ تَمَلَّتْ
وَبَسَحَرِ عَيْنِيهِ النَّوَاعِسُ تُقْبِلُ
وَكَذَلِكَ الْفَرْلَانُ مِنْهَا تَنْزِلُ

وقال ابن عباد :

وَنَظَرَنْ مِنْ خَلَلِ الشُّتُورِ بِأَعْيُنٍ
مَرْضَى يُخَالِطُهَا السَّقَامُ صَبَاحَ
وَلَهُ أَيْضًا :

وَسَنَانٌ قَدْ خَدَعَ النَّعَاسُ جُحُونَهُ
مَذْغُ غَضٍّ طَرَفًا بِالْحِيَاءِ فَإِنِّي
فَكَى بِمَقْلَتِهِ ذُبُولَ النَّرْجِسِ
مِنْهُ اسْتَحْيَيْتُ بَأْنَ أَقْبَلَ مُؤْنِسِي

وقال النزى :

كَأَنَّمَا سَوَادُ عَيْنِ مُنَيَّتِي
لَا تُنْكِرُوا مَقَالَتِي تَجَاهِلًا
كُنْزِي يَا أَنْفُسَا لَوَّامَةً
مَعَ عِلْمِكُمْ بِأَنَّهَا لَوَّامَةٌ

وقال الشهاب بن القطان :

شَاقِنِي (مَارِسُ) فُؤُولِ
وَابْتَنَى التَّعْرِيسَ ، قُلْنَا :
زَهْرُهُ حَاكِي عُيُونِكَ
لَعَنَ اللَّهُ قُرُونَكَ

آفة النظر وغائلته

وكنت إذا أرسلت طرفك زائراً
رأيت الذي لا كآه أنت قادر
ولأبي العباس الصيني :

قم فاسقني بين خفق الناي والمود
كأساً إذا أبصرت في القوم محتشماً
نحن الشهود وخفق المود خاطبنا
وله أيضاً :

يقرّ الله عينك يا جفوني
ويا عيني لك البشري فنامي
رغبت عن الهوى وهربت منه
وله أيضاً :

سقتني لثروى الراح روحاً وحققت
على زجس حيت به فكأثها
وله أيضاً :

إذا ضاق صدري وخفت العدا
فبالله نبليخ ما زنجي
وله أيضاً :

ينيب البدر يوماً ثم يبدو
إذا لم تطلع الإثنين عصراً
وله أيضاً :

ولقد مررت على الأطباء وصادني
تذت لواحظه إلى بأسهم
ظي وعهدي بالطباء تصاد
أغراضها الأرواح والأجساد

وله أيضا :

صبّ الداد وما تعمّد صبه فتورّد الخد البديع الأزهر
يا من يؤثر حبره في ثوبنا تأثير لحظك في فؤادي أكثر

وله أيضا :

من شاء عيشاً رخيئاً يستفيد به في دينه ثمّ في دنياه إقبالا
فلينظرون إلى ما فوقه أدباً ولينظرون إلى من دونه مالا

وله أيضا :

أدرك بقية نفس روحها رفق وقد أذابت هموم النفس أكثرها
وإنما سلمت منها بقيتها لأنها خفيت ضعفاً فلم ترها

وله أيضا :

ألا حل بي عجب عجب تقاصر وصفى عن كنهه
رأيت الهلال على وجه من رأيت الهلال على وجهه

وقال آخر في شوق إلى حبيب :

إن نبت عن ناظري فأنتم في القاب يا غاية التمتنى
والظن أن لا تخون عهدي لا خيب الله فيك ظنّي

تعدد الزوجات والأزواج

هند وأبو سفيان (١)

كان مسافر بن عمرو بن أمية ، يهوى هنداً بنت عتبة بن ربيعة ، وله فيها شعر يغنى به . فلما فارقت زوجها الناكه بن المنيرة ، خطبها إلى أبيها ، فلم ترض ثروته وماله ، فوفد على « النعمان » يستعينه على أمره ، ثم عاد فكان أول من لقيه أبو سفيان ، وعلم منه أنه تزوج هنداً .

وكان مسافر من أحسن فتيان قريش جمالاً وشعراً وسخاءً ، وقد عشق هنداً وعشقتة ، فأنهم بها . وقال بعض الرواة : إنها حملت منه ، فلما بان حملها أو كاد ، قالت له : اخرج . فخرج حتى أتى الحيرة ، وأقام عند عمرو بن هند ينادمه ، ثم أقبل أبو سفيان بن حرب إلى الحيرة في بعض ما كان يأتيها ولقيه مسافر ، فسأله عن قريش ، فكان مما قال له أنه تزوج من هند بنت عتبة . فدخله من ذلك ما اعتلّ معه ، حتى استسقى بطنه .

وروى معروف بن خربوذ أن مسافراً قال في ذلك :

ألا إن هنداً أصبحت منك محرماً وأصبحت من أدنى حوَّتها رحي
وأصبحت كالقصور جفن سلاحه يقلب بالكفين قوساً وأمهماً

حكمة التعدد في الاسلام (٢)

إنه لمعلوم أن جميع كلام النبوة شرح للقرآن . قال تعالى : « وأنزلنا إليك الذِّكْرَ لُتُبَيِّنَ للنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ » وإذا تتبعنا القرآن العظيم لم نجد يذكّر المؤمنين إلا ومعهم المؤمنات ،

ولا المسلمين إلا ومعهم السلّمات ، ولا الصّاعين إلا ومعهم الصّاعّات . قال تعالى : « وَمَنْ يَمَلْ مِنْ الصّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا » وقال تعالى : « مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » . وقال تعالى : « إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصّادِقِينَ وَالصّادِقَاتِ وَالصّابِرِينَ وَالصّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصّائِمِينَ وَالصّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا » هو الجنة وما فيها . وهكذا في غير ما آية .

ومن اطلع على موضع ذلك من المصحف الشريف ، فسيتف بنفسه على ما ذكر . فالكتاب والسنة والإجماع على أن للنساء ما للرجال من الثواب ، وعليهن ما عليهم من العقاب ، لا فرق بين حرٍّ ورقيق ، ومولى وعتيق .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أيما امرأة غاب عنها زوجها فحفظت غيبته في نفسها ، وطرحت زينتها ، وقيدت رجلها ، وأقامت الصلاة ؛ فإنها تُحشر يوم القيامة عذراء طفلة ، فإن كان زوجها مؤمنًا فهو زوجها في الجنة ، وإن لم يكن زوجها مؤمنًا زوجها الله من الشهداء » . فكيف يتوهم ممن اتصف بالعدل فضلًا عن اتصافه بالفضل ، أن يضيق عمل عامل ، أو يحرم الراجي فضله الشامل ؟

وهنا تمرّض مستشرق إنكليزي في سياق حديث رواه المؤلف وقال : لو علمت نساء أوروبا بقولك لأحبين دين الإسلام ، لكن رُبما يمنعن شئ آخر أشقّ عليهن من كل شئ ، وأضرّ . . هو اتخاذ الرجل منكم عددًا من الزوجات .

وردّ على المستشرق بأنه لا دخل لعدد الزوجية ولا لدين النصرانية في إحياء العلوم الأدبية ولا تقدم الفنون والصنائع الدنيوية ، ولو كان الأمر كذلك لما احتاج الأوروبيون إلى اليونان ومن بعدهم من العرب في الوصول إلى ما وصلوا إليه ، فالعرب للأوروبيين في كل ما علموه ملاذ ، واحتياجهم إليهم كاحتياج المتعلم إلى الأستاذ .

وأما ما كان من أمر تمدد الزوجات فليس هذا خاصاً بالمسلمين؛ بل هو عام لهم ولغيرهم، ولم يمنعه إلا طائفة النصارى فقط، حتى إن من قبلهم كانوا يجوزون التمدد أيضاً، فقد رأيت في بعض كتب التواريخ، تقلا عن دانيال القسيس، أن ملوك فرنسا الأولين كانوا متزوجين بزوجات متعدّدات، مع أنهم كانوا متديّنين بدين النصرانية. ومن ثمّ كان لكلّ من غنطران وشرير وداغوير الأول ثلاث زوجات، ولمّ داغوير، وهو فلودمير أربع زوجات في آن واحد.

وفي سنة سبعمائة وست وعشرين من الميلاد، كتب البابا غريغور الثالث إلى الواعظ بدستاس، حين أرسل إليه يسأله عن جواز التزوج بامرأة ثانية: « إذا أصيبت المرأة الأولى بداء يمنّنها عن القيام بحقوق الزوج، جاز له أن يتزوج بامرأة أخرى، وعليه للمصابة مؤثّتها الضرورية ».

ولعلّ الحكمة في إباحة تمدد الزوجات عند المسلمين، وعند كلّ من كان على رأيهم، أن التدبير الإلهيّ له، ميز الرّجل بقوة البنية، وطول زمن التّناسل بالنسبة للمرأة، وسلامته من الأعذار المعتادة للنساء في أوقات معيّنة، كالحيض والنفاس، راعى الشرع جانبه لذلك.

وأما حكمة الأفراد التي عول عليها النصارى، واستندوا إليها في الحكم فلا يمكن الجزم باطرادها في كلّ طبيعة، ولا بأنّها تقطع ما يخشونه من المفسد. فقد أتى زمن يمنع فيه كثير من الأمور الفظيعة التي لا وجود لها في بلادنا، كقتل الأطفال، وإسقاط الأجنة ونحو ذلك.

فقال المستشرق الإنكليزي: هذا كلام معقول، لكن نظرت في المصحف مرّة، فرأيت في السورة الثالثة ما ظاهره الأمر بضرب النساء، مع أنه يُخلّ بشرف الإنسانية. فكان الجواب أن هذا لا يوجد إلا إذا علم الزوج منها خلاف ما كان يعمدّ، على أنه ليس له ذلك من أوّل الأمر، بل يستعمل معها النصيحة، فإن أبت فله أن يؤدّبها بالهجر، فإن لم يُجدِ الهجر ضربها، بشرط ألا يضربها، وألا يخرج على حُسن العشرة المأمور به

في القرآن ، الذي جعل التشديد عليهن مذموماً ، وصير من عاقبهن على كل ما فرط منهن ملاماً ، كقوله تعالى : « الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ » ..
وكقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « احملوا النساء على أخلاقهن » وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ينبغي للرجل أن يكون في بيته كالصبي ، فإذا طُلب ما عنده وَجِدَ رَجُلًا .

وقال بعض الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم : « ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ » قال : أن تُطعمَها إذا طعمت ، وتكسوها إذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ، ولا تُقَبَّح ، ولا تهجر ، إلا في البيت . ومعنى لا تُقَبَّح : لا تسمعها المكروه ولا تشتمها أو لا تقل لها : قبحك الله ونحو ذلك .

وفي القرآن الكريم عدا ذلك كثير مما يعظم أمر النساء ويوجب رعايتهن والمبادرة إلى القيام بحقوقهن . وهل حرية النساء إلا أن يُلغى حقوقهن على أزواجهن ، حسبما تقتضيه المروءة ، وصيانة النساء عن الدخول فيما ليس لهن من خصائص الرجال .
وليس فيما يقبل العقل المنزعة عن المعصية أن تكون حرية النساء عبارة عن تخليتهن وما اشتبهن ، مع ما يشاهد في الأكثر من غلبة شهواتهن وأهوائهن على عقولهن .

المرأة التي تزوج عليها زوجها

في « سبعة المرجان ^(١) » أشعار عن غيرة المرأة التي يتزوج عليها زوجها ، منها قول ابن المعتز :

خبروها بأني قد تزوجت فظلت تكاتم النيط سراً
ثم قالت لأختها ، ولأخرى جزعاً : ليته تزوج عسراً
وأشارت إلى نساء لديها لا ترى دونهن للسراً سراً
مالقبي كأنه ليس مني وعظاى أخال فيهن فترا

(١) سبعة المرجان ص ٢٥٧ أشعار .

عدم زواج الرجل بمن يهواها

معلوم أن العرب^(١) كانوا لا يزوجون الرجل بمن يهواها ، وكان يتحاشى السلام عليها لئلا يعرف بها .

قال أبو ريش : كان الرجل إذا عُرف بحبِّ امرأةٍ لم يزوّجوه إياها . وكان إذا سلّم عليها عُرف أنه يهواها ، وقد يسلم عليها وإن كان في السلام يأْس منها وهذا من إفراط شوقه وغلبة هواه .

رؤية الرجل المرأة عند تزوّجها (١)

قال الأصمعي : الحُسْنُ في العينين ، والجمال في الأنف ، والملاحة في الفم .
وقالت امرأة خالد بن صفوان له : إنك لجليل يا أبا صفوان . فقال : كيف وليس عندي رداء الجمال ، ولا برنّسه ولا عموده . إن رداءه ألبياض وأنا آدم ، وعموده الطول وأنا ربّعة ، وبرنّسه سواد الشعر وأنا أشمط . ولكن قلّبي : إنك مليح ظريف .

وروى أن النبيّ - عليه الصلاة والسلام - خطب امرأة ، فأرسل عائشة - رضى الله عنها - لتنظر إليها ، فلما رجعت إليه قالت : ما رأيت طائلاً . فقال : بلى ، لقد رأيت خالاً في خدّها اقشعرت منه كلّ شعرة في جسدي .

وقالت عائشة - رضى الله عنها - تصف شعورها حينما رأت جويرة بنت الضحّاك لأول مرة : والله ما هو إلّا أن رأيتها على باب حجرتي ، فكهرتها . وفي ذلك ما يدلّ على ما كن عليه أزواج النبيّ - صليّ الله عليه وسلم - من الخيرة عليه ، والعلم بموقع الجمال عنده .
أما نظره - عليه الصلاة والسلام - إلى جويرة حتّى عرف من حسنّها ما عرف ، فذلك لأنّها كانت مملوكة ، لو كانت حرة ما ملأ عينيه منها ، لأنه لا يكره النظر إلى الإماء .
وجاز أن يكون نظره إليها لأنّه نوى تزوّجها .

(١) التبريزي على الحماسة ج ١ . (٢) في الروض الأتق .

وروى أن امرأة قالت للنبي صلوات الله عليه : إني قد وهبت نفسي لك يا رسول الله . فصعد فيها النظر ثم صوب ثم أنكحها من غيره .

وثبت عنه - عليه الصلاة والسلام - الرخصة في النظر إلى المرأة عند إرادة نكاحها . وقال للمغيرة جين شاوره في نكاح امرأة : « لو نظرت إليها فإن ذلك أحرى أن يؤدم بينكما » . وقال مثل ذلك لمحمد بن مسلمة حين أراد نكاح بثينة بنت الضحاك . وقد أجازته مالك في إحدى الروايتين عنه . ذكرها ابن أبي زيد .

وفي مسند الزّار : « لا حرج أن ينظر الرجل إلى المرأة إذا أراد تزوجها وهي لا تشعر » .

وفي تراجم البخاري في باب النظر إلى المرأة قبل التزويج أن النبي - عليه الصلاة والسلام - قال لعائشة - رضي الله عنها : أريتك في المنام بجيء بك الملك في سرقة من حرير ، فكشف عن وجهك ، فقال لي : هذه امرأتك . فقلت : إن يكن من عند الله بمخبر ، وهذا استدلال حسن . وفي قوله : إن يكن من عند الله سؤال - لأن رؤياه وحى ، فكيف يشك في أنها من عند الله . والجواب : أنه لم يشك في صحة الرؤيا ، ولكن الرؤيا قد تكون على ظاهرها ، وقد تكون لمن هو نظير المرء أو سميه فمن هاهنا تطرق الشك ما بين أن تكون على ظاهرها ، أو لهما تأويل .

وسمعت شيخنا يقول في معنى هذا الحديث : لا يخلو نظره عليه الصلاة والسلام إليها من أحد الأمرين ، أو يكون ذلك قبل أن يضرب الحجاب . وإلا فقد قال تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » .

والنبي - صلى الله عليه وسلم - هو بغير شك إمام المتقين وقدوة الورعين . وجورية هي بنت الضحاك بن أبي ضرار بن حبيب بن عائد . وتوفيت في شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين أو خمس وخمسين من الهجرة .

رايات من خمر النساء (١)

وجهَ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه - عتبة بن غزوان والياً على البصرة، وقال له : يا عتبة ، إني قد استعملتك على أرض الهند ، وهى حومةٌ من حوماتِ العدو ، وأرجو أن يكفيك الله ما حولها ، ويعينك عليها . . فإذا قدم عليك العدو ، فاستشره ، وادعُ إلى الله ، فمن أجابك فأقبل منه ، ومن أبى فالجزية ، وإلا فالسيف ، واتقِ الله فيما وليت ، وإياك أن تنازعك نفسك إلى كبرٍ مما يفسدُ عليك إمرتك ، وقد صحبتَ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - فعززتَ به بعدَ الدِّلة ، وقويتَ به بعد الضعف ، حتى صرتَ أميراً مسلطاً ، ومليكاً مطاعاً ، تقولُ فيسمعُ منك ، وتأمرُ فيطاعُ أمرُك ، فيألفها من نعمة ، فاحتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية ، ولهي أخوفهما عندى عليك أن تستدرجَكَ وتخدعَكَ فتسقط سقطةً تصيرُ بها إلى جهنم ، أعيذك بالله ونفسي من ذلك . إنَّ الناسَ أسرعوا إلى الله حتى رفعت لهم الدنيا فأرادوها ، فأرد الله ولا تُرد الدنيا . واتقِ مصارعَ الظالمين . انطلق أنت ومن معك حتى إذا كنتم فى أقصى أرض العرب وأدنى أرض المعجم ، فأقيموا . فسار عتبةٌ ومن معه ، وأقام بالبصرة ، ثم سار عتبة بالمسلمين إلى أن لقيهم جيش عظيم من الفرس ، فاقتتل الفريقان .

وقال نساء المسلمين : لو لحقنا بهم فكنا معهم ، فاتخذن من خمرهن رايات ، وفرن إلى المسلمين ؛ فلما رأى المشركون الرايات ، ظنوا أن مدداً للمسلمين قد أقبل ، فانهزموا ، وظفر بهم المسلمون !

كشف وجه المرأة في الإحرام

قالت عائشة - رضى الله عنها^(١) : لو علم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أحدث النساء ، لمنعن من المساجد .

وسئل عقیل - عن كشف المرأة وجهها في الإحرام ، مع كثرة الفساد في زمانه أهو أولى أم التنظية مع الفداء ؟ فأجاب : بأن الكشف شعار إحرامها ، ولا يجوز رفع حكم ثبت شرعاً لحوادث البدع .

وأما قول عائشة - رضى الله عنها - فإنها ردت الأمر إلى صاحبه فقالت : لو علم لمنع ، ولم تمنع هي .

وقد ندب الشرع إلى النظر إلى المرأة قبل النكاح ، وأجاز للشهود النظر . فليس يبدع أن يأمرها بالكشف ، ويأمر الرجال بالخص ليعظم للابتلاء .

وإنما جاء النص بالتهى عن النقاب خاصة ، كما جاء النهى عن القفازين ، وعن لبس القميص والسراويل . ومعلوم أن نهيه عن لبس هذه الأشياء لم يرد أنها مكشوفة لا تستر البتة ، بل قد أجمع الناس على أن - المخرمة تستر بدنها بقميصها ودرعها ، وأن الرجل يستر بدنه بالرداء وأسافله بالإزار .

ومن قال : إن وجه المحرمة كراوس المحرم ، فليس معه بذلك نص . وقول من قال من السلف : إحرام المرأة في وجهها إنما أراد به أنه لا يلزمها اجتناب الناس كما يلزم الرجل ، بل يلزمها اجتناب النقاب ، فيكون وجهها كبطن الرجل .

وقد قالت عائشة - رضى الله عنها : كنا إذا مر بنا الرجل كأن سدكت إحدانا جلبابها على وجهها . ولم تكن إحداهن تتخذ عوداً تجمعله بين وجهها وبين الجلباب كما قال بعض الفقهاء ، ولا يعرف هذا من امرأة من نساء الصحابة ، ولا أمهات المؤمنين البتة ، لا عملاً ولا فتوى . ويستحيل أن يكون هذا من شعار الإحرام ، ولا يكون ظاهراً مشهوراً يعرفه الخاص والعام .

(١) في بدائع الفوائد.

ومن آثر الإنصافَ وسلكَ سبيلَ العلمِ والعدلِ تبيّنَ له راجح المذاهب من مرجوحها،
وفاسدها من صحيحها ، والله الموفق الهادي .

المرأة لعبة زوجها (١)

البيضة المكنونة^(٢) بيضة النعام، ويشبه بها النساء لبياضها ، والصفرة التي تضرب فيها.
قال ذو الرمة :

« كَأَنَّهَا فَضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ »

والمكنونة : المصونة، والنعامة تخفيها بريش ، ولا تُبديها للشمس والرياح لئلا تتغير .
وقال الله تعالى : « كَأَنَّهِنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ » .

وعن علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم - أنه قال :
« المرأة لعبة زوجها ، فإن استطاع أحدكم أن يحسن لعبته فليفعل » .

والمداعبة : المازحة ، والمنازلة - تقول : غالزتنى المرأة : إذا تماجنت عليك في كلامها
وأشارت لك بعينها ، وغزتك بحاجبها حتى إذا طمعت فيها صدت عنك . . . والمليحة
الصورة : المستملحة . كالدمى والصور التي تلعب بها البنات ونحوها .

مات زوجها فتزوجت !

يروى أن امرأة من مدينة « يشكر » اسمها « أم عقبة » كانت عند ابن عم لها يقال له
« غسان » وأنه سألها عما تصنع بعد موته ، فقال :

أخبري بالذي تريدن بعمدي والذي تضميرن يا أمَّ عُقْبَةَ
تَحْفَظِينَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِي لِمَا قَدْ كَانَ مِنِّي مِنْ حَسَنِ خُلُقِي وَصُحْبَةِ
أَمْ تَرِيدِينَ ذَا جَمَالٍ وَمَالٍ وَأَنَا فِي التَّرَابِ فِي سِجْنِ غُرْبَةٍ

(١) في خزانة الأدب للبغدادي . (٢) تكن رأسها : أي تخفيها كما هو مشهور عن النعامة غالباً .

فَقَالَتْ لَهُ : وَاللَّهِ لَا أَجِيبُكَ بِكَذِبٍ ، وَلَا أَجْمَلُهُ آخِرَ حَظِّي مِنْكَ . وَأَنْشَدَتْهُ :

قَدْ سَمِعْتُ الَّذِي تَقُولُ وَمَا قَدْ يَا ابْنَ عَمِّي تَخَافُ مِنْ أُمِّ عُقْبَةَ
سَوْفَ أَبْكِيكَ مَاحِيَتُ بَنُو حِمْيَرٍ وَمَرَاتٍ أَقُولُهَا أَوْ بِبَدْبَةِ
فَلَمَّا سَمِعَهَا أَنْشَأَ يَقُولُ :

أَنَا وَاللَّهِ وَاثِقٌ بِكَ لَكِنْ احْتِيَاظًا أَخَافُ غَدْرَ النِّسَاءِ
بَعْدَ مَوْتِ الْأَزْوَاجِ يَآخِرُ مِنْ عَوْدِ شَرِّ فَارَعِي حَقِّي لِحَسَنِ الْوَفَاءِ
إِنِّي قَدْ رَجَوْتُ أَنْ تَحْفَظِي الْمَهْرَ لِمَا فَكُونِي إِنْ مَتَّ عِنْدَ الرَّجَاءِ
ثُمَّ اعْتَقَلَ لِسَانَهُ فَلَمْ يَنْطِقْ حَتَّى مَاتَ . فَلَمْ تَمُكِّثْ بَعْدَهُ قَلِيلًا حَتَّى خُطِبْتَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ،
وَرَغِبَ فِيهَا الْأَزْوَاجُ لِاجْتِمَاعِ الْخِصَالِ الْفَاضِلَةِ فِيهَا ، فَقَالَتْ بِجَبَّةٍ لَهَا :

سَأَحْفَظُ غَسَّانًا عَلَى بُعْدِ دَارِهِ وَزَعَامَ حَتَّى نَلْتَقِيَ يَوْمَ نُحْشَرُ
وَأِنِّي لَفِي شُغْلٍ عَنِ النَّاسِ كُلِّهِمْ فَكُفُّوا فَمَا مِثْلِي بَعْدَ مَا يَفْدُرُ
سَابِكِي عَلَيْهِ مَاحِيَتُ بِدَمْعِي تَجُولُ عَلَى الْخَلْدَيْنِ تَهْمِي فَتَهْمُرُ

فَلَمَّا تَطَاوَلَتِ الْأَيَّامُ تَنَاسَتْ عَهْدُهُ وَقَالَتْ : مِنْ مَاتَ فَقَدْ فَاتَ .

فَأَجَابَتْ بِمَعْضٍ خُطَابِهَا فَعَقَدَ عَلَيْهَا . فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَرَادَ الْخَوْلُ بِهَا أَتَاهَا آتٌ
فِي مَنَامِهَا فَقَالَ :

عَقَدْتُ وَلَمْ تَرَعِي لِبَعْلِكَ حَرَمَةً وَلَمْ تَعْرِفِي حَقًّا وَلَمْ تَحْفَظِي الْمَهْدَا
وَلَمْ تَصْبِرِي حَوْلًا حِفَاظًا لِصَاحِبِ حَلَفْتَ لَهُ بَتًّا وَلَمْ تَنْجِزِي الْوَعْدَا
غَدَرْتُ بِهِ لَمَّا ثَوَى فِي ضَرْبِهِ كَذَلِكَ يُنْسَى كُلٌّ مَنْ مَكَنَ الْأَحْدَا

فَلَمَّا سَمِعَتْ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ ، انْتَبَهَتْ مَرْتَاعَةً كَأَنَّ غَسَّانَ مَعَهَا فِي جَانِبِ الْبَيْتِ ، وَأَنْكَرَ
ذَلِكَ مِنْ حَضَرِهَا مِنْ نِسَائِهَا ، فَأَنْشَدَتْهُنَّ الْأَبْيَاتَ ، فَأَخَذْنَ مَعَهَا فِي حَدِيثِ لَيْسِيْنِهَا مَا هِيَ فِيهِ ،
فَتَغَفَّلَتْهُنَّ وَأَخَذَتْ مَدِيَّةً ، فَلَمْ يَدْرِكْنَهَا حَتَّى ذَبَحَتْ نَفْسَهَا . فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ :

لِلَّهِ دَرْكٌ مَاذَا لَقِيتِ مِنْ غَسَّانِ
قَتَلْتِ نَفْسَكَ حَزْنًا يَا خَيْرَةَ النِّسْوَانِ

ومن أثر الإنصاف وسلك سبيل العلم والعدل تبين له راجح المذاهب من مرجوحها،
وفاسدها من صحيحها ، والله الموفق الهادي .

المرأة لعبة زوجها (١)

البيضة المكنونة^(٢) بيضة النعام، ويشبه بها النساء لبياضها ، والصفرة التي تضرب فيها.
قال ذو الرمة :

« كَأَنَّهَا فَضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ »

والمكنونة : المصونة، والنعام تخفيها بريش ، ولا تُبديها للشمس والرياح لئلا تتغير .
وقال الله تعالى : « كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ » .

وعن علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم - أنه قال :
« المرأة لعبة زوجها ، فإن استطاع أحدكم أن يحسن لعبته فليفعل » .
والمداعبة : المازحة ، والمنازلة - قول : غالطني المرأة : إذا تماجنت عليك في كلامها
وأشارت لك بعينها ، وغزتك بحاجبها حتى إذا طمعت فيها مدت عنك والمليحة
الصورة : المستملحة . كالدمى والصور التي تلعب بها البنات ونحوها .

مات زوجها فتزوجت !

يروي أن امرأة من مدينة « يشكر » اسمها « أم عقبة » كانت عند ابن عم لها يقال له
« غسان » وأنه سألها عما تصنع بعد موته ، فقال :

أخبري بالذي تريدن بمدى والذي تضميرين يا أمَّ عُقْبَةَ
تحفظين من بعد موتي لما قد كان مني من حسن خلقي وصُحْبَةِ
أم تريدن ذا جمالٍ ومالٍ وأنا في التراب في سجن غُرْبَةٍ

(١) في خزانة الأدب للبغدادى . (٢) تكن رأسها : أى تخفيها كما هو مشهور عن النعام غالباً .

فقلت له : والله لأجيبك بكذب ، ولأجعلنه آخر حظي منك . وأنشدته :

قد سمعت الذي تقول وما قد يا ابن عمي تخاف من أم عتبة
سوف أبكيك ما حيت بنوح ومراثٍ أقولها أو يتدبه
فلما سمعها أنشأ يقول :

أنا والله واثق بك لكن احتياطاً أخافُ غدر النساء
بعد موت الأزواج يا خير من عو شر فارعى حتى لحسن الوفاء
إنني قد رجوت أن تحفظي المم د فكوني إن مت عند الرجاء
ثم اعتقل لسانه فلم ينطق حتى مات . فلم تمكث بعده قليلاً حتى خطبت من كل جانب ،
ورغب فيها الأزواج لاجتماع الخصال الفاضلة فيها ، فالت بحيلة لهم :

سأحفظ غساناً على بُعد داره وزعاه حتى نلتقى يوم نحشر
وإني لفي شغل عن الناس كلهم فكفوا فما مثلي بمن مات يغدر
سأبكي عليه ما حيت بدمة تجول على الخدين تهمل فهمر

فلما تطاولت الأيام تناست عهده وقالت : من مات فقد فات .

فأجابت بعض خطابتها فعقد عليها . فلما كانت الليلة التي أراد الدخول بها أتاها آت

في منامها فقال :

عقدت ولم ترعي لبعلي حرمة ولم تعرفي حقاً ولم تحفظي المهدا
ولم تصبري حولاً حفاظاً لصاحب خلقت له بئاً ولم تنجزى الوعدا
غدرت به لما ثوى في ضريحه كذلك ينسى كل من سكن اللحد

فلما سمعت هذه الأبيات ، انتبهت مرتاعة كأن غسان معها في جانب البيت ، وأنكر
ذلك من حضرها من نساءها ، فأنشدتهن الأبيات ، فأخذن معها في حديث لينسينها ما هي فيه ،
فتنفلتهن وأخذت مدية ، فلم يدركنها حتى ذبحت نفسها . فقالت امرأة منهن :

لله درك ماذا لقيت من غسان
قتلت نفسك حزناً يا خيرة النسوان

وفيت من بعد ما قد همت بالمصيان
وذو المال غفور لسقطة الإنسان
إنّ الوفاء من اللّٰه لم يزل بمكان

وفاء عائشة بنت طلحة لزوجها المتوفى

قالت امرأة حاكية^(١) : كنت عند عائشة بنت طلحة يوماً ، فقيل لها : هذا الأمير قد جاء ، فتنجيت . ودخل عمر بن عبد الله زوجها فلما خرج من عندها ، رأيته وكأنما أوتى ملك سليمان .

ويقال : إن رملة بنت عبد الله خيرة عائشة هدمت قالت لمولاة عائشة يوماً : أريني مولاناك مجردة وأنا أعطيك ألفي درهم . فذكرت الجارية ذلك لعائشة ، فقالت : أنا أتجرد لها ولا تعلمها أني عرفت . ثم قامت عائشة فتجردت كأنها تنقل . وذهبت مولاتها إلى رملة ضررتها فأخبرتها ، فأشرفت عليها وتأملت ما مقبل ومدره ، وأعطت الجارية ألفي درهم وقالت : وددت لو أني أعطيتك أربعة آلاف درهم ولم أرها ، وذلك لما راعها من حسن جسدها والبض ، وتناسق جمال أعضائه المثيرة الفاتنة .

ولما مات عمر بن عبد الله زوج عائشة ندبته قائمة ، دلالة على أنها لا تزوج بعده . روى الأصفهاني في كتابه « الأغاني » أن عائكة بنت يزيد بن معاوية ، استأذنت زوجها عبد الملك في الحج ، فأذن لها وقال : ارفعي إلى حوائجك كلها ، واستظري فإن عائشة بنت طلحة تمحج معك ، فاستظرت بكل ما تقدر عليه ، وخرجت بهيئة حسنة فداجت فيها . فلما كانت بين مكة والمدينة إذا ركبت قد جاء فضنطها وفرق جماعتها ، وكان هو ركبت عائشة بنت طلحة !

(١) دقة الأعيان للتراجم ص ٤٣٨ .

القبلة وإباحتها (١)

قالت طائفة من العلماء : القبلة مباحة لمن وصل إلى حد يخاف على نفسه من التلف في الحين قالوا : لأن تركها قد يؤدي إلى هلاك النفس ، والقبلة صغيرة ، وهلاك النفس كبيرة ، وإذا وقع الإنسان في مرضين داوى الأخطر ، ولا خطر أعظم من خطر النفس ، حتى أوجبوا على المحبوب مطاوعته على ذلك . إذا علم أن ترك ذلك يؤدي إلى إهلاكه . واحتجوا بقول الله تعالى : « الذين يمتنعون كبار الإثم والفواحش إلا اللطم . . . » والحديث الذي يقول : يا رسول الله إني لقيت امرأة أجنبية فأصبت منها كل شيء إلا النكاح ، قال : أصليت معنا ؟ قال : نعم . قال : إن الله قد غفر لك . فأنزل الله تعالى : « وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات » . رجع إلى المقاطيع :

قال أبو الفرج الجوزي :

يا مانع القبلة من خدِّه فتت قلبى فهو مفتوت
لا تخش أقماسى ولا حرها فإنما خدك يا قوت

ولأبي الفضل بن أبي الوفا :

سألتها رشف ريق مستعذب الطعم حوى
قالت : فصفه ارتجلاً قلت : بمد التروى

ولابن حجة :

وما شق أزم معشوقه قبلة فى فيه فيها شفاء
ولم يخف من جارحى لحظه خطفاً وقد باس ولم يخطفاه

ولابن المطار :

جمعت بالراح شملى فالله يجمع شملى
وكم يدك عندي دعنى أقبل رجلك

ولآخر :

رأيت في مجلسي مليحاً يشبه بدر الدجى وأحسن
سأله قبله بخلدٍ فجاد بالوصل لي وأحسن

وقال آخر :

سأله قبله الذبها فصداً عني وقال مروالك
فقلت : لم سيدي ؟ فجاوبني : عاقبة البوس حل مروالك

ولآخر في « مشروط على الخدة » :

بروحى مشروط على الخدة أمر
فقال على اللهم اشتربنا فلا تزد
ولبعضهم رحمه الله :

قال الحبيب وقد رشفت رضابه
أفطرت ؟ قلت : نعم رأيتك طالماً
ولآخر عنا الله عنه :

قبات مبسمه فقال تذللأ
أفطرت يا هذا ، فقلت له : ابتدا
وقال آخر في الجناس :

إن كنت تألف بالحبيب وقربه
إن الرقيب إذا صبرت لحكميه
فاصبر على جور الرقيب وداره
ثوأك في مثوى الحبيب وداره

محاسنُ الخلق والخلق (١)

عن وهب بن منبه - أنه قال : قال موسى عليه السلام : أى رب أى عبادك أحب إليك ؟ . قال : من أذكر برؤيته . وقال وهب : قال داود : يارب أى عبادك أحب إليك ؟ قال : مؤمن حسن الصورة . قال : أى عبادك أبغض إليك ؟ قال : كافر قبيح الصورة ...

وفي مسند الإمام أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله يحب الجمال . رواه عبد الله بن عمرو بن العاص وأبو سعيد الخدري ، وعبد الله بن مسعود وجماعة .

وعن حديث ابن حديج عن أبي مليكة ، يرفعه : من آناه الله وجهاً حسناً وخلقاً حسناً وجملاً في موضع غير شائنٍ له ، فهو من صفوة الله من خلقه .

وفي الصحيحين عن أبي بريدة - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب أن يكون الرسول الذي يرسل إليه حسن الوجه حسن الاسم . وكان يقول : إذا أبردتم إلى بريداً فليكن حسن الوجه حسن الاسم .

وفي مليح :

يا من له وجهٌ بدت أنواره	كالشمس عند طلوعها بل أشرق
لولا هواك لما جفا جفنى الكرى	ليلاً ، وبثٌ بدمع عيني أشرق

مروفي آخر :

شبهت بالبدر الحبيب فقال لي	لاح به أثر الصبابة لا يج
لا وجه للتشبيه ، قلت : أما ترى	وجه الحبيب ؟ فقال : وجه واضح

وقال له :

وجهه يفوق الهلال حسناً	ويُنجلُ البدر إن تجل
يقول في الحال من رآه	أشهد أن لا مليح إلا

وقال آخر :

أحبُّ من الرَّدان كلَّ مهفهِ
رشيقي الشئى لم يسر في خدَّه الشعرُ
فأما إذا ما الشعرُ في خدَّه بدا
فلا خير في اللذات من دونها السترُ

وقال آخر :

أظهروا وجهك المليح
ثمَّ لاموا من افتتن
لو أرادوا جنايتي
حجبوا وجهك الحسن

وقال آخر وأجاد :

يا من وهبت له روحى فمذَّبه
ورمتُ تخليصها منه فلم أطق
أدرك بقيَّة نفس فيك قد بلغت
قبل الماتِ فهذا آخر الرَّمق
ولا بن الخطيب في « الحسن » :

الدُّرُّ فوق جبينه يتوقدُ
والسَّاء في وجناته يتردَّدُ
كتب الهوى بيد إليه يؤكِّد
بالحسن فوق جبينه يا واحد
وله أيضاً :

جفون ممذبي يملأه
مئى وإن وداده تكليفُ
لكننى لم أنا عنه لأنه
خبرٌ رواه الجفن وهو ضعيفُ
ولشهاب الدين بن ناصر الدين :

بي سقام من جفون
قد جفونى لست أبرا
وعيون فأتكات
من سيوف الهند أبرا

ولآخر :

كأنَّ مقتلته صاد ، وطجبه
نون وموضع تقبيلاته ميم
فصرت أعبد منه فى الهوى صنأ
وعابد الصنم الإنسى مخدوم
ولآخر - فى الميون :

يا من يشبه نرجساً بنواظر
دعج تنبه إنَّ فهمك راقد
أين القياس لمن يصحَّ قياسه
بين الميون وبينه ذا ساعد

وقال أيضاً في ذلك :

وظيَّ إذا عاتبت ناعس طرفه
ألا فاشهدوا قتلي بسيف جفونه
ولآخر - في العيون السود :

عيونك السود إن مدت سوائها
وإن كان جبل الجفا سود معارفها
ولآخر - في ذلك :

كنت أشتغي بحبيبي ألف ناقة سود
أزّل إلى الحرب آخذ عود وأعطي عود
وفي من عينه زرقاء :

بمينه الزرقاء
واعجباً أحبه
في قلبي منهم مطلق
وهو العدو الأزرق

وفي أحول :

قالوا شغلت بأحول فأجبتهم
لأنحسبوا حولانه . . لكنه
وفي من بعينه رمد :

جاء الحبيب وعيناه بها رمد
وقال أرجو علاجاً قلت واعجباً
وفي الوجنة الحمراء :

الطرف بعدك قد عادت مدامه
والقلب في الوجنة الحمراء يأسكني
وفي مبتسم الثغر :

جاء بصبح ثغره مبتسماً
قلت له : دمت لقلبي هكذا
يمشي بلبيل الشعر في دلال
ما دامت الأيام والليالي

وفي حبيب :

قال الحبيب يقول ثغرى إنه
يازيد خذ منه الحديث فإنه
ذو قرقف داء المحبة دافع
حسن رواه مالك عن نافع

وقال في أحور :

وأحور طرفي طير في جماله
وعرينه أفتى أشم وطرفه
وقلبي ، قل لي ما الذي فيه أصنع
كحل ، وخذاه من الورد أصبغ

وفي لجلجة كلام المحبوب :

عابوا التلجلج - في كلام معذبي
إن الذي ينسى الكلام لسانه
فأجبتهم والعذر فيه بيان
ولسانه من ريقه سكران

وفي معاينة حسن الحبيب :

لو طابت عينك حسن معذبي
عين الرشا ، قد القنا ، ردف النقا
مالتني ولكن أول من عذر
شعر الدجى ، شمس الضحى ، وجه القمر

ولابن مبارك :

يا أيها العشاق قد جاءكم
أجيد إتلاف روح امرئ
متيم يسأل كنى يهتدى
على ملىح في الهوى أم ردى

وقال آخر - في من بيده مديّة :

وشادن في يده مديّة
ما كان محتاجاً إلى حملها
جرّدها للفتك من غمدها
فلحظه أقطع من حدّها

ولأبي نواس - في أحور ساحر العينين :

وبلى على أحور ممكور
نختاره الحور علينا كما
وساحر العينين مسحور
نختاره نحن على الحور

وفي من يبكى :

يا قرأ أبصرت في مآتم
لا تبك للميت ياسيدي
يندب شجوا بين أثواب
وابك قتيلاً لك بالباب

وفي من ينظر في المرآة :

وإذا أراد بأن ينزّه طرفه . أخذَ المرآة بكفه فتفرّجاً
فكأنه وكأنها في كفه شمس الضحى قد قارنت بدر الدجى

وفي قواس :

قالت لقواس له طلعة من رام عنها الصبر لم يقدر
يا من له وجه كبدر الدجى بكم تباع القوس للمشتري ؟

وللازميرى في رام :

بأبي وأمي رامياً يسبي الحشا بلوا حظ تسطو على العشاق
لما أراد إطلاق سهم رامياً زاد الوردى عشقاً على الإطلاق

وفيه أيضاً :

رمى عن قوسه في الطير سهماً على عجل ولم يعلم رويداً
وفوق نحو قلبي سهم طرفي فلم يخطئ بسهميه السويداً

وفي رمال :

وضارب بالرمل من حسنه يزدحم الناس على رمله
كأن من أبدع في خلقه قد خلق العشاق من أجله
مستخرج في الرمل أشكاله وما يريدون سوى شكله

ولابن الوردي في ذلك :

حكي القضيبي والقنا بالرمل والأنامل
وقال وصلي غفلة إلا بفيض داخل

وقال في منجم :

ورب منجم قد صدّ عني ولي أبداً بطلمته ولوع
فقلت عساك ترجع عن قريب فقال الشمس ليس لها رجوع

ولابن المزين في تاجر :

وتاجرٌ شاهدت عشاقه قال على ما اقتتلوا هكذا
والأزميري - في تاجر أيضاً :

وتاجرٌ يمنع عشاقه ما رد يوماً منها زياراً
وله في شاعر :

لا تعذلوني إذا عشقت شاعراً في فيه نظم الدرّ يا رفاق
فهو البديع حسنه لكنه يميل للترصيع في الطباق
ولآخر في الخد :

بدأ في الخدّ عارضه فأضحى عليه مفيض بالوم يُغري
وحول أن يرى متى سُؤلوا فقال : لقد تعذر . قلت : صبري
ولآخر ... اقتباس - في من في خده عذار :

رأيتُ في خده عذاراً خلعت في حبه عذارى
قد كتّب الحسنُ فيه سطرأ ويوجّ الليل في النهار
ولابن المعتز في ذمه وهجره :

يارب إن لم يكن في وصله طمعٌ ولم يكن قدح من طول هجرته
فأشف السقام الذي في جفن مقلته واستر محاسن خديّه بلحيته
وله أيضاً - عفا الله عنه :

ها قد غدا في ثياب الشعر في كفن - وقد تعفّت معاني وجهك الحسن -
وكانت يعرض عني حين أبصره فصرتُ أعرضُ عنه حين يبصرني
وقال آخر :

لما التحى وعا الإلهُ جماله وكساه ثوبَ مذلة وتناق
كتب الزمان بخطه في خده هذا جزاء معذب المشاق

وقال آخر :

غداً أسوداً بالشعر أبيض وجهه
على وجهه أضحى بخطى عذاره
فأصبح من بعد التثعم في ضنك
تناديهما عيناه حزناً : قاتنبك
ولآخر ... اقتباس :

قتل الناس باللواظ حتى
طلعت ذقنه وعيناه كَلَّتْ
أذهب الله حسنه والجمالاً
وكفى الله المؤمنين القتالاً
وآخر... مثله :

لما بدا في خده عارض
وقلت غداً عارض ممطر
بشرت قلبي بالسوء القيم
فجاءني منه عذاب أليم
وقال آخر - أيضاً :

قلت لما تشركت عارضاه
إيش هذا فقال لي في جوابي
وأباد السواد ضوء نهاري
كل من مات سودوا باب داره
ولابن نباتة :

وأمرد مقتته ربه
أرسله الله لنا آية
بدله بعض الضياء بالظلم
ليعلموا كيف زوال النعم
وله أيضاً - رحمه الله :

دارت عذار حبيبي
فيا له حسن وجه
حتى غدا وهو حار
دارت عليه الدوائر
وقال آخر :

وخلصني من يدي عشقه
كنست فؤادي من حسنه
ظلام على خده خندسه
ولحيته كانت المكسسه
وقال آخر . والله در قائله :

ما فعل الله باليهودي
ولا بفرعون من عصاه
ولا بعماد ولا ثمود
ما فعل الشعر بالحدود

ما قيل في الأسماء (١)

في محمد بن عربي :

أحمد عساك تشهد لي أني قتيل عيونك النجل
فقت الملاح فانت خاتمها وكذا سميت خاتم الرسل
وفيه أيضاً :

قالوا تشفع بالجمال ولو ثبتت كان أجود
فأجبت إني مسلم أرجو الشفاعة من محمد
ولابن العفيف :

أيها الودع قلبي نار وجد تنوقد
كيف تستاهل ناراً مهجة تهوى محمد
وفي أحمد :

قد غدا أحمد لي ما أجود وكان بالوصل لنا ينجد
وإن يمد يرضى لمشاقه فالوصل يا أحمد لي أحمد
وفيه أيضاً :

مذ وفا أحمد وعدى ولهب الشوق أحمد
فأنا في كل حال أشكر الله وأحمد
آخر والله درقائه :

ولقد قنعت من الحبيب بنظرة أظني بها ناري التي لا تمجد
قالوا فمن شئت تحب ؟ فأجبتهم غصن النقا بدر الدجى يا أحمد
وفي أبي بكر :

تمشقت ظيماً فأن اللحظ فآراً أبو بكر يدعي خليفة طلعة البدر
فلا تنكروا وجدى فأني محمد وإني من أولى الوري بأبي بكر

وفيه أيضاً :

بروحى أبا بكر فديت ومهجتي له طلعة كالبدر والنصن قدّه
مليحاً بيدر التّم في أققه ينرى وناظر من بابل جاء بالسحر
والحجازى - فيه أيضاً :

بمدح أبى بكر سموتُ فيا له ولا بدع إذ بالفت في مدحه إذا
ولشهاب الدين التليج ، وأنشده لنفسه :

من حبيبي ووقا وعدّا له وحققه
ولا عجيباً من أبى بكر الوفا ما أصدقه

وفى عمر :

ما عليهم فى الهوى إذ نظروا حين ممّوك وقالوا : عمر
أبدلوا قافك عيناً غلطاً أخطأوا ما أنت إلا قر

وفى عثمان :

وافى إلىّ بشمعتين ووجهه بضياؤه يزهو على القمرين
ناديت ما الاسم ؟ يا كلّ المنى فأجابنى عثمان ذو النورين
لنر فى عثمان :

يا أيها العارف فى فنّه ومدعى الفهم وعلم البيان
ما قولكم فى أحرف خمسة إذا مضى حرف تبقى ثمان

وفى علىّ :

قال العذول مذ رأى قلبي به فى شغل
بمن فتنّت فى الورى ؟ ققلت دعنى بعلى

وله عنا الله عنه :

بعلى قد همت ما بين الورى وبه قلبي المعنى قد بلى
وإذا ما غاب عنى شخصه صاح قلبي وحشة بالعلّى

ولابن حنبل الحافظ رحمه الله :

قلت : هل لي من دوا قد غدا قلبي عليلاً
قالوا سلوى كل حباً قلت إلا عن علي لا

والحجازي في عبد العزيز :

إن عبد العزيز قد جاء نحوي شرح حالي أغنى عن التميز
في هواه حقاً لقد طاب ذلي حيث أصبحت عبد عبد العزيز
ولأزهرى في عبد القادر :

حسبي عبد القادر الذي له بهجة حسن والورى عبيده
وكيف لا أريده بين الورى والله يدرى أنني أريده
لنر في عبد الله :

اسم من أهواه يسيدي فيه من المنبر حرفان
وأخو الورد تمام اسمه وواحد ليس له ثان
وفي عبد القوى :

عبد القوى سباني بقده السمري
وصرت عبداً ضعيفاً في حب عبد القوى
وفي عبد اللطيف :

فتنت بعبد اللطيف الذي فطاته أسكنته الفؤاد
ولا عجب إن بدا لطفه فببد اللطيف لطيف العباد
وفي عبد الحفيظ :

عبد الحفيظ الندي قد أنجح الله قصده
لا تختشى من ضياع قاله يحفظ عبده
وفي محمود :

يقول لي منكر حالي به من لك في ذا الحى مقصود
قلت لا تسل بحق الهوى عنه فقصدي فيه محمود

وفيه يهجو :

ما كنت أحسب أنى أجى إلى زمن
يسبنى فيه كلب وهو محمود
وفى إبراهيم :

عجبت لنار قلبي كيف تبقى
فيا نيرانه كوني سلاماً
وفيه أيضاً :

لا زال بابك للسكرام كسبة
حتى يقول القاصدون بأمرهم
ولا بن نبأته في خليل :

يغيب خليل الحسن عنى ليلة
وكيف يطيب العيش عندى والكرى
ولمز الدين الموصلى :

قال حبى خليل غيـرت ودى
بعد عشق الملاح صرت قهياً
وقال فى يعقوب :

يعقوب إنى يوسف قد تركتنى
وأصبحتُ مخذولاً وقد كنت ناصراً
ولا بن الخياط - فيه أيضاً :

رأيت أنى فى الكرى لائماً
يوسف انبينا بتأويله
لنز فيه . . وأجاد :

يا سائل عن اسم من أحببته
فإذا أردت بيان فاعمد إلى
إنى بمن أهواه غير مصرح
مكوس سابع كلمة فى « سبغ »

وفي موسى :

رأيت في خلق غزالا تحير في وصفه الميون
فقلت ما الاسم قال موسى فقلت هنا تخلق النقون

وفي عيسى :

ناديت يا عيسى ترفق بامري أحشاؤه قد أحرقت نهاكا
عيسى بن مريم كان يحبي من يرى وتميت أنت الحى حين يراكا

في داود :

وثقت بأن قلبي من حديد وفيه على الهوى بأس شديد
فلان على هواك ولا عجيب إذا داود لأن له الحديد

وفيه أيضا :

أمسى يقز بحسنه بدر الدجى وغدا يذوب بحسنه الجلود
فاذا بدا فكأنما هو يوسف وإذا شدا فكأنه داوود

في سليمان :

له وجنة تدمى من اللحظ رقة يكاد بها ماء الشبية ينهل
فهذا سليمان لركة خده إذا دب فيه النمل كلمه النمل

في خضر :

مهفف طلعتة ليس بها مناظره وقده غصن نصر
يجرى لنا ماء الحياة وثنره لا تمجبوا ماء الحياة فهو خضر

في رجب :

دموعى ربيع والرقاد محرم على جفن عيني مذ هجرت بلا سبب
وفي القلب من شعبان نيران نصفه فجدلى بما أرجو من الوصل يارجب

في شعبان :

شعبان قد أمسى يهز مطافئ أبدت حلاوة خصره مع ردفه
لا غرو إن لاحت عليه طلاوة شعبان كل حلاوة في نصفه

على بن سودون - في بركات :

رشاً يعيد الأسد في اللغات
الوجه منه مبارك فإذا بدا
ابن القيصراني في منصور :

يا قمر الوصل في جنة
كم حاربك الشمس في حسنها
النواجي في نجم :

قد كنت أحسب نجم الدين يمنحني
حتى رماني في نيران مهجته
وله في سعد :

أنا قد همت بسعد
فاطرح نصحي ودعني
وله في سعيد :

سموا مني مهجتي سعيداً
إذا اجتمعنا يقول صدري
وله في قاسم :

شكوت له حالي وفرط صبايتي
وقال استمر صبري وكن متأسياً
ابن العطار في يحيى :

أيمكن سلوتي يحيى ؟ وروحي
وقلبي يشتهي فيه اكتسابي
وله في هاشم :

في هاشم قلبي بدا دايباً
وكسر قلبي صبح في عشقه
من لحظة الفاتك بالعالم
لقلّة الإنصاف في هاشم

وله في عامر :

حبيبي يدعى في الأنام بعامر
يهدد قلبي بالسدود وبالحنفا

وله في فرج :

وليس لي مخلص أرجو النجاة به
لكن اضمن بيت القائل بن رجا

آخر :

يا لائمي في رشيق القد مبتدل
أشكو الشدائد من وجد أكابده

للحجاج في أمير حاج :

منلت بزورة للعيد يوماً
وأما إن دعيت أمير حاج

ولابن نباتة في عماد :

قالوا الماد مليح
بحسنه قلت قصدي

لمز الدين الموصلي في جرادة :

لقبوه جرادة وهو ظبي
صدته فامتلا فؤادي شجماً

لابن نباتة في إلياس :

أفدى مليحاً في البرايا لم أزل
قالوا أنقطمه كبيراً قلت من

لنزي إسماعيل :

اسم من قد هويت ست حروف
عيل صبرى تمام اسم حبيبي

نصفها ما تبديت فاستفهموها
ما على العالمين لو فهموها

أسبي جميع العباد
أنظر لذات الماد

فاق حسناً ولم أعره شهاده
لا تقولوا بأن سيدي جراده

طول الزمان عليه في وسواس
راحات قلب المرء قطع إلياس

لابن الصايغ، في حسن :

إن الجسود عندما عاين ذا الحسن افتتن
وقال لا بدع إذا أتى عليّ بالحسن
وفي حسين :

حسين سباني حسنه ولحاظه
وماني بسهم اللحظ قلت له انشد
وفي بدر :

سموه بدرآ وذاك لا
وأجمع الناس إذ راوه
وفي كمال الدين :

ديني تكمل مذ جُعلتم قبلي
وغدوت أنشد في البرية كلما
وفي عز الدين :

مولاي عزّ الدين يامن غدا
بكم حقيقة حسنت حالتي
وفي تاج الدين :

بيابك تاج الدين قد جئت مهدياً
فزادت بهاء من عطائك سيدي
جواهر لفظ لم ينلني تاجر
وفي التاج أبهى ما يكون الجواهر

الشهاب الصائم، في محبة الدين :

في ملاح لك شتي
كم ليالي مع غزال
ضعف القلب وشتا
يا محبة الدين بتا

في شرف الدين ، يهجو ، وأجاد :

لقبوه	شرف	الدين	يرجون	السيادة
كيف	يرجى	منه	خير	وهو
			سر	زيادة

في زيتون يهجو فيه :

سموك	زيتونا	فما	أنصفوا	لو	أنصفوا	سموك	زعرورا
لأن	للزيتون	زيت	يفى	وأنت	لا	زيت	ولا
							نورا

في يونس :

وقالوا	حبیب	القلب	بدر	وقده.	حكي	البدر	وجها	قلت	بل	هو	أملس
قلو	لم	يكن	غصنا	لما	كان	مائلاً	ولو	لم	يكن	بدر	لما
											كان
											يونس
											آخر، وأجاد:

شغفت	بفتان	اللو	احظ	أهيف	له	مقلة	سوداء	وانخذ	أطلس
فإن	غاب	عن	عيني	تصورت	شخصه	فيوحشني	والحب	في	القلب
									يونس

في مقبل :

يا من	تمحجب	عن	عبد	صادق	ما	زال	عنه	كل	يوم	يسأل
من	لي	بيوم	فيه	يسمح	باللقا	ويقال	لي	هذا	حبيلك	مقبل

في شاهين :

يا من	تسمى	بشاهين	وسيمته	خطف	القلوب	وبالألحاظ	شاهينا
قد	اشتبهيناك	بالشاهين	لا	تفسا	فهل	ترى	أنت
							يا
							شاهين
							شاهينا

في عنبر :

مذ	رأني	عنبر	حبيلي	وعرف	رياه	قد	تعطر
أرشفني	من	لما	خجراً	وشاقني	من	شذاه	عنبر

في بشير :

بشير	سبا	مهجتي	وجا	كبدر	منير
وقد	جاد	لي	بالرضا	ولاواصل	وافي
					بشير

في سنبل :

يقولون لي إذ زار في الحب سنبل
أهذا شذا مسك توضع نشره
وقد فاق رباً نشره كل مندل
فقلت له هذا شذا عرف سنبل

في كافور :

مذ زار كافورنا البديع سنا
شاهدت من خاله بوجنته
ووجهه خف من سنا النور
نقطة مسك تبسو بكافور

في مسرور :

يقولون لي مسرور وافاك زائراً
فقلت لهم قد زال همي بوصله
وقد بت بالصباية ماسوراً
وقلبي به في الحب أصبح مسوراً
في ريحان، والله دره :

فديت ريحان صبا بالجوی
لما رنا بلحاظه من ترجس
وبعد قلبي شفه الأشجان
وبدا بعارض خده ريحان

في صبيح ، وأجاد :

أرى صبيح مهجتي قد سبي
فكيف لي بالصبر عن حبه
وصير اللمع بخدتي يسبح
وقد سبي قلبي بوجه صبيح

في مبارك :

مبارك يا عذولي
لو زارني كنت أحظى
أطلت فيه مقالك
منه بكعب مبارك

في فرج :

يا قلب صبراً إذ أتاني فرج
وربما تبلغ المراد وكم
عساك بالوصل منه تبتهج
قد جاء عند الضيق الفرج

وما قيل في المهن والحرف

في إسكاف :

ربّ إسكاف مليح حسنه ذاب قلبي منه مبدًا وجفا
كلّما أشكو إليه سقمي قال ما عندي سوى هذا الشفا

في بخاتق :

تسلطن في الملاح بخاتق ولم يرض ييدر التّم نايب
وصفّ له من الأراك جندًا وأصبح موكبًا تحت المصاب

في حباك :

يا مليحًا مهذب مقلته صاد قلبي منه بالشرك
مذ رأيت الحبك صنعتة قات هذا البدر في الحبك

عز الدين الموصلی، في حجام :

وطجم في الكاس أجرى دما من ساق ساقينا ياشفاق
لكنّه خالف في شرطه فحكم الكاس على الساق

في حریری :

حریری بیع الحسن لكن شبه النصفن والبدر النیر
کسی جسمی السقام ولا عجیب لثوب السقم من هذا الحریری
وما أحسن من قال ما یسج علی تکه .. وأجاد :

أنا قفل من حریری ... فوق خصر مستدير
أنا لا أفتح إلا ... عند أوقات السرور

وقال في حداد، وأجاد :

تعشّقت حدادًا بديع ملاحه له طامة في الحسن تملو وتشمخ
إذا رمت بالتطريق وصلًا بقربه أراه ستر الغیظ ثم ینفخ

في حلاوى :

ريق الحلاوى أحلى من حلاوته
والدمع سكب وأحشائي تقوبنه
لابن الوردى فيه أيضاً :

الحلاوى قال لى
سهم عيني يسبر
والصندى فيه أيضاً :

إن هذا المصبي الحلاوى أضجى
لا تدارنه فى هواه بشكوى
فى حوايجى :

حوايجى أتيت أسأله
فى عنق دمل به ورم
لابن الوردى، فى خياط :

لما أتى والمقص فى يده . . .
فقال وسلاً يمز قات له
وأيضاً فيه :

مررت بخياط حكى البدر طلعة
يقد ويفرى الثوب ثم يخيطه
ولالأزميرى فيه أيضاً :

فخياط إذا سأله
وإن شكوت غمتى لردفه
فى ذهبي :

عشقتة ذهبي اللون طلعتة
إن مات طيباً إليه ليس ذا عجب
أبهى من البدر بل أبهى من الشهب
فالناس بالطبع قد مالوا إلى الذهب

وفيه أيضاً :

إلى الذهبي صبا قلبي وكم يدعو للمطرب
الم ترني على شفتي أحب الرضع في الذهب

وفي راشد :

أقول لراشدي لما تبدي عساه يكون لي بالوصل ناجد
بحسن جمالك الحسن القدي إلى المشاق قد وافاك راشد

وفي رسام :

هويت رساماً كبدر الدجى وثغره كالدرّ إذا تبسم
قلت له صلي ولو ساعة قال بكم ؟ قلت : بما ترسم

وفي رفا :

يا رافيا قطع كل ثوب يا بنية النفس يا مرادى
عسى بخيط الوصال ترفى ما فرق الهجر من فؤادى

وللصفدي فيه أيضاً :

ورقاء له وجهٌ مليحٌ محاسنه البديعة ليس تخفى
شملت به الفؤاد ولا زمانا أرى ثوب الفؤاد يعد زرفاً

في بياع ريحان :

يا صاح ريحاننا قد زارني وبكاس فيه لآ سقاني
لما نظرت إلى شقايق خده سلب الفؤاد عذاره الريحان

وللصفدي في سكري :

سبتني صفات السكري الذي له بضاعته حتى عدت قرارى
مكرر لفظ في سنيات مبسم وأحر خدّ في نبات عذارى

ولابن العربي . . في مليح يسبي الفؤاد :

وظبي يطرق بمرآته فيسبي فؤادى من لطفه
وهيهات أن أرتجى من هواه خلاصاً ودفتى في كفه

ولبدر الدماميني، في سبائك :

سبائك تبر وفضة صنعته
قلت له سبني أنا وأخي
وقال آخر، وأجاد، في سروجي :
فتنت به سروجياً بديماً
إذا جذب الغرام له عناني
في سقا :

لله سقا . له طلعة
أروم أن يسكب لي قربة
وللازميري فيه أيضاً :

عشقت سقا كالزلال رضابه
يروي المبرد عن لاه كاملاً
ولشيخ الشيوخ بحماسة، في شرابي :
سألته من ريقه شربة
قال أخشى يا شديد الظما
ولابن الصايغ، في شماع :

نظرت إليه شماعاً مليحاً
له خد جمر لا لهيب
موالياً في صابوني :

حييت أهيف رقيق الحصر صابوني
والله لو فتشوا قلبي لصابوني

ولبدر الدين الدماميني، في صايغ :

وصايغ شادن هام الفؤاد به
يا ليتني كنت متفاحاً على فمه
وحبه في صميم القلب قد رسخا
حتى أقبل فاه كلما تقفخا

وله أيضاً في طيب :

طبيب يحاكي النصف في حركاته أصير روي في هواه سيلاً
عجياً له يرى السقام بلطفه وبطرفه يدعى السقام عليلاً

وله في طحان :

لله طحان تبدى وجهه قرأ له قر السماء رقيق
وجناته ماء ولكن قلبه حجر وأما خصره فدقيق

وله أيضاً في عطار :

قلت لعطار به صبوتي محمودة والصبر لا يستطاب
أسقيتنى كأس غرامى به ذبت ومن فيك برانى الشراب

وفي ملبح جالس عند عطار :

وعطار مهت عليه يوماً وجدت بجنبه ظلياً رمانى
فقلت له أعندك ماء ورد ؟ فقال : نعم ، وعندى ما لسانى

ولابن الفرس، وأجاد، في عوام :

يا حسن عوام كنصن النقا ييخل بالوصل لمن هاما
ويقتنع العشاق منه بأن يريهم الأرداف إن طاما

وقال آخر، وأجاد، في فاخران :

سباني فاخران بديع حسن رى في القلب بالبحران جره
فهمت من الفرام له بحبة وقصدى منه أن أحظى بجره

وفي قباني :

أشرت إلى الحبيب وقد تبدى بقبانٍ ودمع العين سائل
فدل بحسنه تهاً ونادى إشارات الحب لها دلائل

والسيد محمد رضوان الرماد - في قصاص :

أشكو إلى الله قصاصاً يجزئنى بالصد والمجر أنواعاً من القصص
إن تحسن القص يئناه فقلته أيضاً تقص علينا أحسن القصص

في بايع الكتان :

ريح محبة لم يزل قلبه
من طلب التسريح من حبه
ولا بن الوردى - في كهنتي :

لا أرى من محبة لي خرجاً
قرأ طرز بالبدر الدجى
ولا بن العفيف - في كوانى :

اسم حبيبي وما يمانى
قالوا على فقلت قدرد
وقال آخر، في مליح مكحول :

يا أيها الرشا المكحول ناظره
إن انماسك في التيار حقق أن
ولا بن الوردى، في مزين :

بأبي شادن تملك روحى
مسك الكلبتين قلت عجيب
ولأبي الفضل بن أبي الوفا، في مجبر :

أحببت من بين الأنام مجبراً
ناديته قلبى كسير بالجو
ولا بن الوردى، في مهميزى :

صاح هذا المهميزى عارضه
وجد بالوصل لي يوماً رفست على
ولآخر - لبايح الفخار :

بايح الفخار بدر

ما الذى تبغيه متى

قال للعاشق جهره

قال قصدي ألف جرّه

وفي ملالي :

ملالي المـسراق نوى حجازا به المشاق وجـداً قد أمالا
إذا سألوا وداعاً لم يجيبهم بلا إيه ولا نعم ولا لا
وقال ابن عربي ، في ناتف :

وقالوا دع المحبوب واجره دائماً ألم تره بعد الملاحه ينتف
أينتف من أجل ويتعب نفسه وأجره تالله ما أنت منصف
ولابن الوردى ، في نطاع :

هويت نطاعاً إذا جيتـه بادرني بالحظ والصنع
أروم أن أحظى بوصلـه قابلي بالسيف والنطع
وللسراج الوراق ، في وراق :

يا حسن وراق أرى خده قد راق في التقيل عندي ورق
تميس في الدكان أعطاه ما أحسن الأغصان بين الورق
وقال ابن حبيب فيه أيضاً :

فتنت بحسن وراق تقور بقلب الصب نار البحر أصلا
مقيل الوجه كم ذرح لديه وبغضب إن طلبنا منه وصلا
وللسيد محمد رضوان الرطاد ، في وقاد :

أحببت وقاداً كبدر طالع أنزله برضى النرام فؤادى
وأنا الشهاب فلا تعاند عاذل إن ملت نحو الكوكب الوقادى
وللصفدى ، في قطان :

قطاننا	مهف	تعتله	أرداقه
ناديت من وجدى به	يالتنى	ندافه	

وله في بياع مرسين :

يا صاح مرسيننا لو زارنى يوماً لكان بوصله يشفينى
لما نظرت إلى رياض خدوده سلب الفؤاد عذاره المرسينى

وله ، في بياع نرجس :

بالروح أفدى فوجيا خدّه
لما دنا ونظرت روض جماله
ورد وآس عذاره كالسندس
نزّهت طرفي في عيون النرجس

وله ، في بياع بنفسج :

سبا بنفسجنا
لما بدا في خدّه
بحسنه قلبي الشجي
عذاره البنفسجي

وله ، في بياع تفاح :

لله من بياع تفاح إذا
لما نظرت لحسن نرجس كفه
غلبني بحسن جبينه الوضاح
هام الفؤاد بخدّه التفاح

وله ، في بياع سفرجل :

لله من سفرجلي شاقني
حيّا بكاس الراس مع القرتل
بنجج طرف بايليّ أكلـ
ما أحسن الراح مع السفرجل

وله ، في بياع الورد :

لله وردٌ نبا البديع سنا
لما تأملت روض وجنته
وما جرى في الثغر من شهـ
تيم قلبي بخدّه الورد

عداوة النساء

طاعتهن تردى العقلاء وتذل الأعزاء

ذمّ بعض الحكماء من القدماء - جماعة النساء ، فقال :

هنّ نار توهج ، وسلّم إلى كلّ بلاء ، وهنّ مثل شجرة الدفلى ، لها رونقٌ وبها ثمر
إذا أكله البعير آذاه وقد يودى به .

ومن أمثالهم : طاعة النساء تردى العقلاء ، وتذلّ الأعزاء . . .

ونظر بعض الصالحين إلى امرأة تزين وتمطر ، فلما فرغت من زينتها ظهرت محاسنها
وزاد جمالها ، فقال لمن حوله : إنّما المرأة مثل النار إذا زيد في حطبها تأججت واشتدّ حرّها ،
وضاءت للناس ، فهي حسنة النظر ، تحرق من دنا منها .

وقال بعض الحكماء : الكيس من لم تضطره النساء . وقال أيضاً : من كانت لذّته في النساء ،
وقع في أعظم البلاء . .

وقال : من أراد أن يعيش عيشة رغد ، ويحيا حياة بلا نكد ، فلا يشغل فكره بشهوة
النساء ، ولا يوى إليهن بطرفه ولا ييده .

وقال حكيم : كلّ أسير يفتكّ إلا أسير النساء فإنه غير مفكوك ، وكلّ مالك يملك
إلا مالك النساء فإنه مملوك ، وما استرعين شيئاً قط إلا وضاع ، ولا استؤمنّ على سرٍّ إلا
ذاع ، ولا أطلقن سرّاً فقصرن عنه ، ولا حوين خيراً فأبقين منه ، فقليل له :

كيف تذهبن ، ولولا هنّ لم تكن أنت ولا أمثالك من الحكماء ؟ !

فقال : مثل المرأة مثل النخلة الكثيرة السلاء ، لا يلامسها جسدٌ إلا اشتكى ، وحملها
مع ذلك الرطب الطيب الجنى . والسلاء : جمع سلاة وهي شوك النخل . .

وروى فيهن : أنهن محملات الآصار، ومكلفت الأوزار، وأكثر أهل النار، ولا يصبر عليهن إلا الأخيار ، وأنهن يسرعن اللعن ، ويكثرن الطعن . وفي الحديث : أنهن يكفرن المشير ، وينكرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ، ثم رأت منك شيئاً قالت : ما رأيت منك خيراً قط !

وقال لقمان : استعذ بالله من شرار النساء ، وكن من خيارهن على حذر .

وقيل لبقرط : أى السباع أحسن صورة ؟ فقال : النساء .

ورأى امرأة ذهبت إحدى عينيها ، فقال : قد ذهب نصف الشر .

ورأى البحر قد حمل امرأة - فقال : شرٌ يجنى شراً . . ورأى رأس امرأة على شجرة

فقال : ليت كل الشجر يشمر مثل هذا الثمر .

ونظرت عجوز من الفلاسفة إلى رجل يريد أن يعرس ، وقد زين داره وزوجها وكتب

على الباب : « لا يدخل على من هذا الباب شيء من الشر » .

فالت له : « فامراتك من أين تدخل ؟ » .

وتكلم نسوة عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال لهن : اسكنن ، فإنما أنتن لعب ،

إذا فرغ لكن ، لعب بكن .

وقيل إن الإسكندر خرج إليه في بعض حروبه نساء يحاربنه ، فقال لأصحابه : كففوا

عنه ، فإن ذلك جيش إن غلبناه لم يكن لنا بذلك ذكر ولا نخر ، وإن غلبنا فهي الفضيحة

الباقية مع الدهر .

ورأيت في بعض الكتب أن بعض النسوة لا يسكن مع الرجال ، وأن أزواجهن يسكنن

ناحية منهن ، فتى احتاج الرجل إلى امرأته أتاها قضي مدة عندها وانصرف فإذا ولدت

ولداً ربته حتى يكبر وأرسلته إلى أبيه . وإن كانت جارية طمست ثديها الأيمن حتى ويبس

لثلاً يمنحها الطمن بالرمح ، وتركت الآخر الأيسر - لترضع به ولداً ، ومع هذا فلا تؤمن

صحبتهن ، ولكن لابد من الأدب في ذلك .

قال عمر رضى الله عنه : عودوا نساءكم - لا ، فإن - نعم - تجريهن على الألسنة .
وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شاوروهن وخالفوهن »
وقال على - رضى الله عنه - لابنه محمد بن الحنفية : إياك يا بنى ومشاورة النساء ، فإن
رأيهن إلى الأفن ، وعزمهن إلى الوهن . واكفف عليهن من أنصارهن بحجبتك إياهن ،
وإن استطعت ألا يعرفن غيرك فافعل ، ولا تطل الجالوس معهن فيهلكنك وتملحن ، واستبق
من نفسك بقية .

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « كل من الرجال كثير ، ولم تكل من النساء
إلا امرأتان : آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، ومريم ابنة عمران » .
وخطب النبي عليه صلوات الله وسلامه - نسوة فقال لمن : « إنكن إذا جمعن دقعتن ،
وإذا شبعن أثيرتن » . وفى بعض الروايات ورد - بدلًا من لفظ (أثيرتن : حجلتن) .
ومعنى (دقعتن : خضمتن ولصقتن بالدقما ، وهى غبرة التراب ، ويقال - فقر مدقع ،
أى ماصق بالدقما . وقالوا : رماه الله بالدقمة ، وهى الفقر والذل ، وجوع ديقوع - أى :
شديد .

وقال النبي عليه أفضل الصلاة والسلام - فى النساء : « ما تركت بمدى فتنة أضر على
الرجال من النساء » . وفى الشهاب : النساء جائل الشيطان . وقال سعيد بن المسيب رحمه الله :
ما أيس الشيطان من شيء إلا أتاه من قبل النساء . وقال وهو ابن أربع وثمانين سنة ،
وقد ذهب بصره : ما شيء أخوف عندي من النساء . وقال بعضهم فى هذا المعنى :

أضر شيء على الإنسان شهوته	تلك التى أوردته لجة النكد
إن الفضول لعمر الله أدخله	فى أن يكابد هم الأهل والولد
يحتاج داراً وأهل الدار يطلبه	كل شهوته ، فليعط ، أو .. يعيد
فاضطره الحال أن يسعى ليرضيهم	فظل من بلد يسرى إلى بلد
كأنه حجير يرى به نزق	من هاهنا لهنا ، أو من يد ليد
ما هم الدهر إلا ما يؤلفه	وما يجمه من جيد وردى

وما يبالي حراماً منه ذاك أتى
حتى إذا اجتمعت تلك المكاسب من
أمسى يُفرّقها فيهم وينتقمه
وربما أسخط المسكين خالقه
الفرض ضيعة ، والدين أئلفه
وكل ذلك من أجل النساء ، فلا
يسلن لبّ ذوى العقل الرصين ، كما
يارب شهوة وقت أورثت غصصاً
قد كان في شغل عنهن قاطبة
لكنه عميت عن ذاك مقلته

ومن شعر أبي العمران الميرتلي رحمه الله :

وقالوا : تزوج فنعم الفتاة
ولو أستطيع لعلقت نفسي
أشقى بها دون ما ضرة
وما تقنع العرس مثنى بشيء
فنفسي أولى بنفسى ، ودع
عرّضنا عليك تنل خيرها
فكيف أضيف لها غيرها
وآمن من ضرة ضيرها
سوى أن تصيرني غيرها
سواها تير وتصيل سيرها

بنات الأربعين من الرّزايا

أنشدني أبو عبد الله اليزيدي ، قال : أنشدني عمي لمحمد بن عبد الله بن طاهر :

مطيات السرور بنات عشر
باب جاوزهن فسر قليلاً
مقاساة النساء مع الليالي
إذا أولدتهن من البلياً

إلى عشرين ، ثم فف المطايا
بنات الأربعين من الرّزايا
إذا أولدتهن من البلياً

طرائف عن الحب

حيلة عاشق

كان لأبي العتاهية الشاعر العباسي نواذر لطيفه مع «عُتْبَة» جارية المهدي، تدُلُّ على كمالِ ظرفه؛ ومن ذلك ما ذكره الخطيب في تاريخ بغداد قال:

إنَّ أبا العتاهية لما ألحَّ في أمر «عتبة» - لأول دخوله بغداد، ولم ينل منها شيئاً، وجدها يوماً قد جلست في أصحاب الجوهر، فمضى فلبس ثياب راهب، ودفع ثيابه إلى إنسان كان معه، وسأل عن رجل كبير في السوق، فدُلَّ على شيخ صائغ، فجاء إليه فقال: إني قد رغبت في الإسلام على يدي هذه المرأة.. يعني «عتبة».

فقام الشيخ الصائغ وجمع جماعة من أهل السوق، وجاء إلى «عتبة» فقال لها: إنَّ الله قد ساق إليك أجراً، هذا هو راهب قد رغبت في الإسلام على يدك. فقالت: هاتوه. فدنا أبو العتاهية منها - وهو في زي الراهب - فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. ثم قطع الزنار، ومال على يديها فقبلها.

فلما فعل ذلك، رفعت البرنس عن وجهه، ففرقتهُ وقالت: نَحْوْه، لعنه الله! فقالوا لها: لا تلعبيه فقد أسلم. فقالت: إنما فعلت ذلك لِقَدْرِهِ. فعرضوا عليه كسوة، فقال: ليس لي حاجة إلى هذه، وإنما أردتُ أن أشرِّفَ بولائها، فالحمد لله الذي منَّ عليَّ بحضوركم.

وجلس أبو العتاهية، فجعلوا يعلمونه (الحمد) وصلى معهم العصر، وهو في ذاك ينظر إليها، لا تقدر له على حيلة!

وحدث المبرِّدُ: أن «رَيْطَةَ» بنت أبي العباس السفاح، وجهت إلى عبد الله بن مالك الخزازي في شراء زقيق للعتق، وأمرت جاريتهَا (عُتْبَةَ) - وكانت لها ثم صحبت «الخيزران» بعدها - أن تحضر ذلك. فإنها لجالسة إذ جاء «أبو العتاهية» في زي متنسِّك فقال لها:

جعلني الله فداك ، شيخ ضعيف لا يقوى على الخدمة . فإن رأيت - أعزك الله - شراي وعنتي ، فعلت مأجورة . فأقبلت على عبدالله فقالت : إني لأرى هيئة جميلة ، وضعفاً ظاهراً ، ولساناً فصيحاً ، ورجلاً بليناً ، فاشتريه وأعتقه . فقال : نعم أفعل . ثم قال لها أبو العتاهية : أتأذنين لي - أصلحك الله - في تقييل يدك ؟ فأذنت له ، فقبل يدها وانصرف . فضحك عبد الله بن مالك وقال لها : أتدريين من هذا ؟ فقالت : لا . قال : هذا أبو العتاهية ، وإنما احتال عليك حتى قبل يدك !

بين الحب والمال

وكان أبو العتاهية قد قصد بنداد من الكوفة ، مع زميلين له ، ليستفيد بشعره عنداً مرأته ، ولم يكن لهم في بنداد من يقصدونه ، فزلوا غرفةً بالقرب من الجسر ، وكانوا يبكرون فيجلسون بالمسجد الذي بباب الجسر ، في كل غداة . فرّت بهم يوماً امرأة راكبة ، معها خدم سودان . فقالوا : من هذه ؟ قالوا : خالصة . فقال أحدهم : قد عشقت خالصة . وعمل فيها شعراً أعانوه عليه . ثم مرّت بهم أخرى ، راكبة أيضاً ، ومعهما خدم بيضان . فقالوا من هذه ؟ قالوا : هذه (عتبة) فقال أبو العتاهية : قد عشقت عتبة . وعمل فيها شعراً .

ولم يزالوا كذلك ، حتى شاع الشعر المصنوع إلى الجاريتين ، وتحدث الناس بشوق أبي العتاهية وزميله لها . فقال صاحبا الجاريتين : نمتحن العاشقين بما لى أن يدعا التعرض للجاريتين . فإن قبلا المال كانا مستأكلين ، وإن لم يقبلوا كانا عاشقين .

فلما كان الند ، مرّت (عتبة) فعرض لها صاحبها ، فقال له الخدم : اتبعنا ، فقبهم ، فضمت به إلى منزل خليط لها يزار . فلما جلست دعت به فقالت له : يا هذا ، إنك شاب ، وأرى لك أدباً ، وأنا حرمة خليفة . وقد تأييتك ، فإن أنت كفت وإلا أنهيت ذلك إلى أمير المؤمنين ، ثم لم آمن عليك .

فقال لها أبو المتاهية : فافعلي ، بأبي أنت وأمي ، فإنك إن سفكت دمي أرحمتني . فأسألك بالله إلا فعلت ذلك إذا لم يكن لي فيك نصيب . !
فقالت له : أبق على نفسك ، وخذ هذه الخمسمائة دينار ، واخرج عن هذا البلد . فلما سمع ذكر المال ولَّى هارباً ، فقالت : ردّوه ، وألحّت عليه فيها . فقال لها : جُعِلْتُ فداك ، ما أصنع بعرض زائل من الدنيا وأنا لا أراك . . . والله إنك لتبطلين يوماً واحداً عن الركوب ، فتضيق على الدنيا بما رَحِبَتْ . فزادت له في الدنانير ، وما زالت تالح عليه فلا يزداد إلا رفعاً .

قليل منك يكفيني

ومن اللف ما قاله أبو المتاهية في (عتبة) قوله :

بالله يا مخلوّه المينين زوريني	قبل المات ، وإلا . . فاستزيريني !
هذان امران ، فاختراري أحبهما	إليك ، أو .. لا . فداعى الموت يدعوني
إن شئت موتاً ، فأنت الدهر مالكة	روحي ، وإن شئت أن أحيأ ، فأحييني
يا (عُتْبَ) ما أنت إلا بدعة خلقت	من غير طين ، وخلق الناس من طين
إني لأعجب من حبّ يقرّبني	مما يباعدني عنه ، ويقصيني
لو كان ينصفني مما كلّفت به	إذن .. رضيت ، وكان النصف يرضيني
يا أهل ودّي . . إني قد لطفت بكم	في الحب - جهدي - ولكن .. لا تبالوني
الحمد لله ، قد كُنّا نظنكمو	من أرحم الناس - طراً - بالساكين
أما الكثير ، فلا أرجوه منك ، ولو	اطمعتني في قليل كان يكفيني

وله فيها قصائد كثيرة أخرى ، يقول في إحداها :

ألا يا (عُتْبَ) يا قرّ الرّصافه	ويا ذات الملاحه والنظافه
رزقت مودتي ، ورزقت عطفي	ولم أرزق - فديتك - منك رافه
وصرت من الهوى دنيّاً سقيّاً	صريماً كالصرير من السّلافه
أظلّ إذا رأيتك مستكينا	كانك قد بُعثت على آفه

ومن قوله فيها أيضاً :

قال لي أحمد ، ولم يدري ما بي أنحبُّ الغداة (عُتْبَةَ) حقاً ؟
فتنقّستُ ، ثم قلت : نعم ، حبّاً جرى في العروق ، عرقاً فمراً
لو تجسّين يا (عُتْبَةُ) قلبي لوجدتِ الفؤاد قرحاً . . تفقاً
قد لعمري ملّ الطيبُ وملّ الـ أهلُ مني ، ممّا أقامني وألقى
ليتني متّ فاسترحتُ ، فإني أبداً - ما حيت - منه ملقى

وفيه يقول :

(عُتْبَ) ما للخيال خبريني . ومالي ؟
لا أراه . . . أتاني زائراً . . . منذ ليالٍ
لو . . . رأي صديق رقى لي ، أو رنى لي
أو . . . يراني عدوى لان من سوء حالي

من الحب إلى الزهد

وحدث أبو العباس : أحمد بن يحيى ثعلب ، قال :

كان أبو المتاهية قد أكثر مسألة الرشيد في (عُتْبَة) - فوعده بتزويجها ، وأنه سيسألها
في ذلك فإن أجبت جهازها له وأعطاه مالا عظيماً . ثم إن الرشيد منحه له شغل استمر به ،
فحجب أبو المتاهية عن الوصول إليه . فنفخ إلى (مسرور) الكبير ثلاث مراوح ، فدخل بها
على الرشيد وهو يتبسم ، وكانت مجتمعة ، فقرأ على واحدة منها مكتوباً :

ولقد تنسّمتُ الرياح لحاجتي فإذا لها من راحتك شميمُ
فقال الرشيد : أحسن الحديث . إذن . . . على الثانية . وكان مكتوباً عليها :
أعلقتُ قصى من رجائك ماله عنقُ يحثُ إليك بي ، ورسيمُ
فقال الرشيد : على الثالثة ، وكان مكتوباً عليها :

ولرّ بما استيأستُ ، ثم أقول : لا إن الذي ضمن النجاح كريم

فقال الرشيد : قاتله الله ، ما أحسن ما قال ، ثم دعا به ، وقال له : قد ضمنت لك يا أبا العتاهية ، وفي غدٍ تقضى حاجتك إن شاء الله ، وبمث إلى (عُتْبَةَ) وقال لها : إن لي إليك حاجة ، فانتظريني الليلة في منزلك .

فأكبرت (عتبة) ذلك وأعظمته ، وصارت إليه تستعفيه ، فحلف ألا يذكر لها حاجته إلا في منزلها .

فلما كان الليل سار إليها ومعه جماعة من خواص خدمه ، فقال لها : لست أذكر حاجتي أو تضمنين قضاءها ؟ قالت : أنا أمتك ، وأمرك نافذٌ في .. فيها خلا أمر أبي العتاهية ، فأتى حلفت لأبيك رضى الله عنه . بكل يمين يحلف بها برٌّ وفاجر . وبالمشى إلى بيت الله الحرام حافية ، كلما اتقصت عنى حجةٌ وجبت على أخرى ، لا أقصر على الكفارة ، وكلما أفدت شيئاً تصدقت به ، إلا ما أصلى فيه .

وبكت بين يديه ، فرق لها ورحمها ، وانصرف عنها .

وغدا عليه أبو العتاهية ، فقال له الرشيد : والله ما قصرت في أمرك ، ومسرور وحسين ورشيد وغيرهم شهود لي بذلك . وشرح له الخبر .

قال أبو العتاهية : فلما أخبرني الرشيد بذلك ، مكثت ملياً لأدري أين أنا قائم أو قاعد ؟ قلت : الآن يئست منها إذ ردتك ، وعلمت أنها لا تجيب أحداً بمدك .

ثم لبس أبو العتاهية الصوف ، وتزهد ، وقال في ذلك شعراً كثيراً ، منه قوله :

قطعت منك حباثل الآمال وحططت عن ظهر المطى رحالي
ووجدت برد اليأس بين جوانحي فننيت عن حلٍ وعن ترحالٍ

وروى أبو سلمة النسيوي أنه قال لأبي العتاهية : ما الذي صرفك عن قول النزال

إلى قول الزهد ؟ فقال أبو العتاهية : إذن والله أخبرك ، إني لما قلت :

الله بيني وبين مولاتي أبدت لي الصد والملاات
منحتها مهجتي وخالصتي فكان هجرانها .. مكافاتي
هيمنني حبها ، وصيرني أحدثاً في جميع جاراتي

رأيت في المنام تلك الليلة ، كأن آتياً أتاني فقال : ما أصبت أحداً تدخله بينك وبين عتبة ،
يحكم لك عليها بالمصيبة إلا الله تعالى ؟! .. فانتبهت مذعوراً ، وتبت إلى الله تعالى من ساعتى
من قول النزل .

مَعِيَ بَيْنُ أَضْلَعِي

المحبة هي بذلك المجهود فيما يرضى الحبيب^(١) . وقيل : هي سكون بلا اضطراب ،
واضطراب بلا سكون . يضطرب القلب فلا يسكن إلا إلى محبوبه . ولا يزال يضطرب
شوقاً إليه حتى يسكن عنده . وهذا معنى قولهم : هي حركة القلب على الدوام إلى المحبوب ،
وسكونه عنده . وقيل : هي مصاحبة المحبوب على الدوام . كما قيل :

ومن عجبٍ أنى أحنُّ إليهم وأسألُ عنهم من لقيتُ وهم معي
وتطلبهم عيني وهم في سوادها ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي

يرى الفؤاد الروحين يمتزجان

وقال ابن الرومي :

أعانقهما والنفسُ بعدُ مشوقةٌ إليها . وهل بعدَ العناقِ تدان ؟
وألثمُ فاها كي تزولَ صبابتي فيشتدُّ ما عندي من الخفقانِ
ولم يكُ مقدارُ الذي بي من الجوى ليشفيهُ ما ترشف الشفتانِ
كأن فؤادي ليس يشقى غليله سوى أن يرى الروحين يمتزجانِ

(١) في روضة المحبين ونزهة المشتاقين ص ٢٩ .

لئن ساءني لقد سرنى

وقال عبد الله بن الدمينه :

ولو قلت : طأ في النار، أعلم أنه
لقد مت رجلى نحوها ... فوطئتهما
لئن ساءني أن نلتني بمساءة
لقد سرنى أننى خطرت ببالك
رضاً لك أو مدن لنا من وصالك
هدى منك لي، أو.. ضلة من ضلالك

العشق عفة ونزاهة

قال الشاعر :

إذا كان حظ المرء ممن يحبهُ
حديث كماء الزن بين فصوله
ولم فم عذب اللثات، كأنما
وما العشق إلا عفة ونزاهة
وإني لأستحي الحبيب من آتى
حراماً، فخطى ما يجل ويَجْمَلُ
عتاب به حُسن الحديث يُفَصِّلُ
جناهن شهد فت فيه القَرَئِلُ
وأنس قلوب أنهن التَّغَزُّلُ
تريب، وأدعى للجميل فأجلُ

الطَّرْفَ رَسُولُ رائد للقلب

قال الأصمعي : رأيت جارية في الطَّوَّاف كأنها مهابة ، فجعلت أنظر إليها وأملأ عيني
من محاسنها ، فقالت لي : يا هذا ما شأنك ؟ قلت : وما عليك من النظر ؟ فأنشأت تقول :
وكنت متى أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً ، أتعبتك الناظرُ
رأيت الذي لا كله أنت قادرٌ عليه ، ولا عن بعضه أنت صابرُ

وقال الفرزدق :

تَزَوَّدَ مِنْهَا نَظْرَةً لَمْ تَدَعْ لَهُ فَوَادًا وَلَمْ يَشْعُرْ بِمَا قَدْ تَزَوَّدَا
فَلَمْ أَرَ مَقْتُولًا ، وَلَمْ أَرَ قَاتِلًا . بَنِيرَ سِلَاحٍ مِثْلَهَا حِينَ أَقْصَدَا

وقال آخر :

وَمَنْ كَانَ يُوْتِي مِنْ عَدُوٍّ وَجَاسِدٍ فَأَيُّ مَنْ عَيْنِي أُتَيْتُ وَمَنْ قَلْبِي
هَما اَعْتَوَرَانِي : نَظْرَةً ثُمَّ فَكْرَةً فَا أَبْقِيَا لِي مِنْ رِقَادٍ وَلَا لَبًّا

وقال ابن المعتز :

مَتَيْتُمْ يَرْصَى نَجْمُومَ الدُّجَى يَبْكِي عَلَيْهِ رَحْمَةً عَازِلُهُ
عَيْنِي أَشَاطَتْ بَدَى فِي الْهَوَى فَابْكُوا قَتِيلًا بَعْضُهُ قَاتِلُهُ

وقال الأرجاني :

تَمَتَّعْتُمَا يَا مُقَلَّتِي بِنَظْرَةٍ وَأُورِدْتَمَا قَلْبِي أَمْرًا الْوَارِدِ
أَعْيَنِي كُفًّا عَنْ فَوَادِي فَإِنَّهُ مِنَ الظُّلْمِ سَعَى اثْنَيْنِ فِي قَتْلِ وَاحِدِ

وقال آخر :

عَاطَبْتُ قَلْبِي لَمَّا رَأَيْتُ جِسْمِي نَحِيلًا
فَالْزِمَ الْقَلْبُ طَرْفِي وَقَالَ : كُنْتَ الرَّسُولَا
فَقَالَ طَرْفِي لِقَلْبِي بَلْ كُنْتَ أَنْتَ السَّوُولَا
فَقُلْتُ : كُفَّا جَمِيعًا تَرَكْتَانِي قَتِيلًا !

لذّة الحبّ كلّها

قال الشيخ شمس الدّين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيمّ الجوزيّة :
« ليس للقلب والروح لذّة ولا أطيّب ، ولا أحلى ولا أنعم ، من محبة الله ، والإقبال
عليه ، وعبادته وحده ، وقرّة العين به ، والأنس بقربه ، والشوق إلى لقائه ورؤيته .
وإنّ مثقال ذرّة من هذه اللذّة لا يُمدّل بأمثال الجبال من لذّات الدنيا » .

وقال بعض العارفين : « مَنْ قرّرت عينه بالله قرّرت به كلّ عين . ومن لم تقرّ عينه بالله
تقطعت نفسه على الدّنيا حشرات ، ويكفى في فضل هذه اللذّة وعرفها أنّها تخرج من القلب
ألمّ الحسرة على ما يفوت من هذه الدنيا ، حتى إنه ليتألّم بأعظم ما يلتذّ بها أهلها ويفرّ منه
فرارهم من المؤلم . وهذا موضع - الحاكم فيه الذّوق لا مجرد لسان العلم » .

وكان بعض العارفين يقول : مساكين أهل الدّنيا ، خرجوا من الدنيا ولم يذوقوا
طيب نعيمها . فيقال له : وما هو ؟ فيقول : محبة الله والأنس به والشّوق إلى لقائه ،
ومعرفة أسمائه وصفاته .

وقال آخر : والله إنه ليرث بالقلب أوقات أقول فيها : إن كان أهل الجنّة في مثل هذه
الحال ، إنهم لفي عيش طيب . وأنت ترى محبة من محبته عذاب القلب والروح كيف توجب
لصاحبها لذّة يتمنى معها أنّه لا يفارق من أحبه . كما قال شاعر الحماسة :

تشكى المحبّون الصّباة ليتني تحمّلت ما يلقون من بينهم وحدي
فكانت لقلبي لذّة الحبّ كلّها فلم يلقها قبلي حبٌّ ولا بعدى !

أَحْسَنْتَ زَيْدِي

قال عبد الله بن المبارك : عشق هارون الرشيد جاريةً من جواريه ، فأرادها ، فقالت :
إِنَّ أَبْلَكَ مَسْنَى فَشَنَفَ بِهَا ، وَقَالَ فِيهَا :
أَرَى مَاءَ وَبِي عَطَشٌ شَدِيدٌ وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوُرُودِ
أَمَّا يَكْفِيكَ أَنْكَ تَمْلِكُنِي وَأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عَبِيدِي
وَأَنْكَ لَوْ جَهَدْتَ عَلَى تَلَانِي لَقَلْتُ مِنَ الرِّضَا : أَحْسَنْتَ زَيْدِي

لَذَّةُ اللَّقَاءِ شِفَاءٌ

وذكر المتنبى أن شاباً من ولد عثمان ، وشاباً من ولد الحسين ، خرجا يريدان موضعاً لهما ،
فنزلا تحت سَرْحَةٍ ، فأخذ أحدهما ورقة فكتب عليها :
خَبْرِينَا - خَصَصْتَ بِالغَيْثِ يَا سَرَّ حُ ، بِصَدَقٍ ، وَالصَّدَقُ فِيهِ شِفَاءُ
وكتب الآخر :
هَلْ يَمُوتُ الْمَحِبُّ مِنَ أَلَمِ الْحُبِّ بُّ وَيَشْفَى مِنَ الْحَبِيبِ اللَّقَاءُ
ثم مضيا ، فلما رجعا وجدا مكتوباً تحت ذلك :
إِنَّ جَهْلًا سَأَلَكَ السَّرْحَ عَمَّا لَيْسَ يَوْمًا عَلَيْكَ فِيهِ خِفَاءُ
لَيْسَ لِلْعَاشِقِ الْمَحِبُّ مِنَ الْحُبِّ بُّ سِوَى لَذَّةِ اللَّقَاءِ شِفَاءُ

دعاء في الطواف

وقال أبو النجباب : رأيتُ في الطواف فتى ، نحيف الجسم ، بين الضعف ، يلوذ ويتموّد ويقول :

وددت بأنّ الحبّ يجمع كلّهُ فيقذفُ في قلبي ، وينلقُ الصّدْرُ
فلا ينقضي ما في فؤادي من الهوى ومن فرحى بالحبّ أو ينقضي العُمرُ

قلت : يا فتى ، ما لهذه البنية حُرمةً تمنعك عن هذا الكلام ؟ فقال : بلى والله ، ولكنّ الحبّ ملأ قلبي بفرح التذكّر ، ففاضت السكرة في سرعة الأوبة إلى من لا يشذّ عن معرفة ما بي . فتمنّيتُ المنى . والله ما يسرّني بما في قلبي منه ما فيه أمير المؤمنين من الملك . وإني أدعو الله أن يثبتهُ في قلبي عمري ، ويجعله فجيئ في قبري ، دريتُ به أو لم أدر . هذا دعائي ، أو أنصرف من حجتّي . ثم بكى . فقلت : ما يبكيك ؟ قال : خوف ألا يستجابَ دعائي ، وله قصدت ، وفيه رغبة ا

محبة الأعداء

من الكلمات المأثورة عن السيّد المسيح عليه السلام قوله : « أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ » .

وقال دِعبِل الخزاعي :

أشبهت أعدائي فصرتُ أحبهم إذ كان حظّي منك حظّي منهم
أجدُ اللامة في هوائك لذينة حبّاً لذكركِ فليلمني اللومُ

وقال آخر :

مَنْ كان يشكر للصديق فإنني أحبُّ بصالحِ شكري الأعداء
هم صيروا طلبَ العالي ديدني حتى وطئتُ بتعليّ الجسوزاء
ولربّما انتفع الفتى بسدوّهِ والسُّمُّ - أحياناً - يكون شفاء

وقال آخر :

عِدَايَ لَهُمْ فَضْلٌ عَلَىَّ وَمِنَّةٌ فَلَا قَطْعَ الرَّحْمَنِ عَنِّي الْأَعَادِيَا
هُمُ يَحْتَوُوا عَن زَلَّتِي فَاجْتَنِبْتُهَا وَهُمْ نَافِسُونِي فَأَكْتَسَبْتُ الْمَعَالِيَا

وقال أحد الشعراء :

سَرَرْتُ بِهَجْرِكَ لَمَّا عَلِمَ تَ أَنَّ لِقَابِكَ فِيهِ سُرُورَا
وَلَوْلَا سُرُورُكَ مَا مَرَّنِي وَلَا كُنْتُ يَوْمًا عَلَيْهِ صَبُورَا

المصادر والمراجع

جميع المصادر والمراجع مأخوذة من كتب مطبوعة ومخطوطة من رصيد الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية وهي :

١	العقد الفريد	١٨	التبريزى على الحماسة
٢	خلاصة الأثر	١٩	سحر العيون
٣	أمالى أبى القاسم الزجاجى	٢٠	فوات الوفيات
٤	الإسماعيل شرح شواهد الكشاف	٢١	اليثيمة للشمالي
٥	المضاف والمنسوب	٢٢	بنية الوعاة
٦	الحيوان للإجاحظ	٢٣	كتاب الترقيص ضمن كتاب
٧	نفع الطيب		اتفاق المباني واقتراق المعاني
٨	وفيات الأعيان لابن خلكان	٢٤	إرشاد الأديب
٩	حزانة الأدب للبندادى	٢٥	الأغاني
١٠	لوعة الشاكى ودمنة الباكي للصغدى	٢٦	العزير المحلى
١١	طوق الحمامة فى الألفة والألاف	٢٧	علم الدين لعلى باشا مبارك
١٢	سبحة المرجان	٢٨	الروض الأنف
١٣	شرح شواهد التحفة الوردية	٢٩	السكامل لابن الأثير
١٤	عيون التواريخ	٣٠	بدائع الفوائد
١٥	خاص النخاس للشمالي	٣١	روضة الأعيان للتراجم
١٦	مخطوط رقم ٦٤٨ شعر تيمور	٣٢	روضة المحبين ونزهة المشتاقين
١٧	أمالى أبى على القالى		

كتاب الحب عند العرب

صفحة	محتوى	صفحة	محتوى
٣	تمهيد لمقدمة الكتاب	٢٨	أنواع الحب
٤	دعاء مأثور	٢٨	ضروب المحبة
٥	كلمة اللجينة	٢٨	حب الولد
١٣	صفات الحب وأغراضه	٣٠	حب الأيامى واليتامى
١٣	الحب ما هو	٣١	أمثال في الحب
١٤	الحب والمحبوب	٣٢	حجة بالنة
١٦	عشق الشرف وعشق الجمال	٣٣	حب الأزواج
١٧	أحلام المحبين	٣٣	زواج النبي من خديجة
١٧	الحبيب الأول والحبيب الآخر	٣٤	حب خديجة للنبي وتقديره لها
١٨	الحب مع اختلاف الدين	٣٥	خير متاع الدنيا المرأة الصالحة
١٩	الحب في كل حال	٣٦	السيدة سكينة بنت الإمام الحسين
٢٠	حب النساء والمال	٣٨	عاتكة بنت زيد
٢٣	الحب خضوع النفس	٤١	زواج امرئ القيس
٢٤	أشقى الناس أهواها	٤٣	ولاء أم عقبة لابن عمها غسان
٢٥	رابعة المدوية	٤٤	زواج حاتم الطائي
٢٥	الحب أحسن المصاوى	٤٦	حب سحيم لمائشة بنت طلحة
٢٦	الهوى قدر	٤٧	الثريا وعمر بن أبي ربيعة
		٤٩	أبو الأسود الدؤلي وامراته وابنهما
		٤٩	المجرد والمرأة التي تبعها

صفحة		
٥١	الشعراء العشاق	٧٦ الغزل ووصف النساء
٥١	جبل بنية	٧٦ النزل والتفرل والفرق بينه
٥٣	كثير عزة	٧٦ ياليل الصب متى غده
٥٤	عمر بن أبي ربيعة	٧٨ استحسن وضاء الوجه
٥٥	من شعر أمية بن الصلت في النزل	٧٩ كواكب لا كواكب
٥٦	حب امرئ القيس	٨٠ كل فتاة بأبيها معجبة
٥٧	ذو الرمة ومية	٨١ أصل بليتي من قد غزاني
٥٧	توبة وليلى الأخيلية	٨٢ تشيب عمر بن أبي ربيعة
٥٩	عبد الله بن طاهر وجاريتيه	٨٣ صبح المشيب يدل على ليل الشباب
٦٠	بحر هوى ليس له شط	٨٣ الشاعر الغزال
٦٠	حب زينب بنت إسحاق النصراني	٨٤ غزال قد غزا قلبي
٦١	التائب من الحب	٨٥ غرام أم جنون
٦٢	الحب والجمال	٨٦ سلموس وسلمسة
٦٢	حب امتداح النساء	٨٧ طاسكة بنت معاوية
٦٣	أعرابي يصف امرأة	٨٨ وصيفة مهدوية في مجلس ابن صمادح
٦٤	الوصف من المشاهدة	٨٩ وصف : ية المنذر إلى أنوف مروان
٦٦	أسنان النساء	٨٩ نارس عربي جميل
٦٦	دائرة يلعب فيها البدر	٩١ غنية : شحاذة
٦٧	المرأة والطيب	٩٢ العيون
٦٧	تف الوجه بالحيط	٩٢ لأعذب المين
٦٨	تشبيه المرأة ببدر السماء	٩٣ معاني لفظ المين
٦٨	لقاء فتى جميل الوجه في الجنة	٩٥ وصف المين وأسماء أجزائها
٧٠	تكني المرأة بالشاة أو البيضة	١٠٠ آفة النظر وغائلته
٧١	في أسماء النساء	

الصفحة	الصفحة
١٤٠	١٠٢ تعدد الزوجات والأزواج
١٤٠	١٠٢ هند وأبو سفيان
الأعزاء	١٠٢ حكمة التعدد في الإسلام
١٤٣ بنات الأربعين من الرزايا	١٠٥ المرأة التي تزوج عليها زوجها
١٤٤ طرائف عن الحب	١٠٦ عدم زواج الرجل بمن يهواها
١٤٤ حيلة عاشق	١٠٦ رؤية الرجل المرأة عند تزوجها
١٤٥ بين الحب والمال	١٠٨ رايات من نحر النساء
١٤٦ قليل منك يكفيني	١٠٩ كشف وجه المرأة في الإحرام
١٤٧ من الحب إلى الزهد	١١٠ المرأة لعبة زوجها
١٤٩ معي بين أضلعي	١١٠ مات زوجها فتزوجت
١٤٩ يرى الفؤاد الروحين يمتزجان	١١٢ وفاة عائشة بنت طلحة لزوجها
١٥٠ لئن ساءني لقد سرني	المتوفى
١٥٠ المشق عفة وثرافة	١١٣ القبلة وإباحتها
١٥٠ الطرف رسول رائد للقلب	١١٥ محاسن الخلق والخلق
١٥٢ لنة الحب كلها	١٢٢ ما قيل في الأسماء
١٥٣ أحسنت زیدی	١٣٢ ما قيل في المهن والحرف
١٥٣ لنة اللقاء شفاء	
١٥٤ دعاء في الطواف	
١٥٤ محبة الأعداء	



Union of the Arab Librarians (UAL)
Union of Arab Librarians

تم طبع هذا الكتاب على مطابع
دار المعارف للطباعة والنشر
بسوسة - الجمهورية التونسية
في شهر جوان 1993

من منشورات دار الأندلس

- الحب عند العرب العلامة أحمد تيمور
تاريخ الغزل في الأدب العربي الأستاذ أحمد الشايب
كتاب الكناية والتعريض لأبي منصور عبد الملك الشعالي
المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء للقاضي الجرجاني
طوق الحمامة في الألفة والألاف ابن حزم الأندلسي
آداب النكاح وكسر الشهوتين للإمام أبو حامد الغزالي
إمرأتنا في الشريعة والمجتمع الأستاذ الطاهر الحداد
المرأة والمؤسسات الاجتماعية في الحضارة العربية الدكتور سعيد عاشور
تزيين الأسواق في أخبار العشاق للعلامة داود الأنطاكي
ديوان الصبابة لشهاب الدين بن أبي حجلة

تحت الطابع

رجوع الشيخ إلى صباه
للعلامة شهاب الدين أحمد بن يوسف
التيفاشي القفصي
طبعة بتحقيق
حسن أحمد جغام وفرج الحوار

تم سحب ثلاثة آلاف نسخة من هذا الكتاب.

تدمك : 6 - 205 - 16 - 9973 - ISBN

الثمن : 3.000 د.ت. أو ما يعادلها بالعملات الأخرى.

الطبعة الأولى : جوان 1993.

من منشورات الدار

- الحب عند العرب العلامة أحمد تيمور
تاريخ الغزل في الأدب العربي الأستاذ أحمد الشايب
كتاب الكناية والتعريض لأبي منصور عبد الملك الشعالي
المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء للقاضي الجرجاني
طوق الحمامة في الألف والآلاف ابن حزم الأندلسي
آداب النكاح وكسر الشهوتين للإمام أبو حامد الغزالي
إمرأتنا في الشريعة والمجتمع الأستاذ الطاهر الحداد
المرأة والمؤسسات الاجتماعية في الحضارة العربية الدكتور سعيد عاشور
تزيين الأسواق في أخبار العشاق للعلامة داود الأنطاكي
ديوان الصبابة لشهاب الدين بن أبي حجلة

ت الطبع

رجوع الشيخ إلى صباه

للعلامة شهاب الدين أحمد بن يوسف

التيفاشي القفصي

طبعة بتحقيق

حسن أحمد جغام وفرج الحوار

تم سحب ثلاثة آلاف نسخة من هذا الكتاب.

تدمك : 6 - 205 - 16 - 9973 - ISBN

الثمن : 3.000 د.ت. أو ما يعادلها بالعملات الأخرى.

الطبعة الأولى : جوان 1993